

المقتطف

الجزء الثالث من المجلد الثاني بعد المائة

١ مارس سنة ١٩٤٣

٢٤ صفر سنة ١٣٦٢

العلم والحرب والحضارة

— ١ —

الأنباء متواترة من كل جانب ، مشيرة الى ان جانباً كبيراً من نشاط العلماء موجّه الآن الى ابتكار أساليب ووسائل جديدة للتدمير او تحسين القديمة ، وإلى ان صفة الحرب الحديثة تأثرت الى أبعد حدود التأثير بتطبيق البحوث والمكتشفات العلمية وقد سار العلم والحرب جنباً الى جنب خلال عصور التاريخ . ويقول العالم برنال الاسناد بجامعة لندن ، اننا اذا استثنينا فترة معينة في القرن التاسع عشر ، صح القول بأن طائفة كبيرة من نواحي الارتقاء العلمي الصناعي نشأت عن مقتضيات الحرب فكشف البارود واستعماله جاء نتيجة لبحث علمي صناعي في أخطا الأملاح ، ولكنه أسدى الى العلم وتقدمه أيادي بيضاء لا تقوّم بمال . فدراسة فعل التفجير ، وهو فعل كيميائي أفضى الى البحث في طبيعة الاحتراق وخواص الغازات ، وعلى حقائق هذين الموضوعين ، قامت نظريات الكيمياء في القرنين السابع عشر والثامن عشر . وظاهرة التفجير مهّدت لبحث تمدد الغازات وعن طريقه الى المحرك البخاري ، مع ان مبدأ هذا المحرك أوحى به انطلاق قذيفة المدفع ، فشغل الفكر باختراع طريقة لحصر القوة العظيمة التي تدفع القذيفة ، واستعمالها في التحريك . وصنع المدافع حفز نشاط المعدنين وأفضى الى ارتقاء العلوم المتعلقة بالتعدين وكيمياء الفلزات والكيمياء غير العضوية

أما الآراء العلمية في الميكانيكا والحركة ، التي أوحى بها حركة القذيفة المنطلقة من فوهة مدفع ، فليست دون الحوادث السابقة منزلة وشأناً . فعلوم الميكانيكا الدينامية في معناها الحديث كانت متعذرة قبل ظهور المدفعية . ذلك بأن الرأي في الجسم المتحرك كان قبل ظهور المدفعية ، أنه يتحرك إذا كانت هناك قوة تدفعه الى الأمام أو اذا كان جسماً ساقطاً . فلما شوهدت قذائف المدافع ذهب الرأي الى أن هناك نوعاً غير معروف من الطاقة المحركة إن أهم وجوه التقدم الصناعي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، ولا سيما التقدم العظيم في صهر مقادير كبيرة من الحديد ، وفي صناعة المحرك البخاري ، مردّها مباشرة الى الحاجة الى المدافع التي اقتضتها طبيعة الحرب المتغيرة . وثقب الاسطوانات اللازمة للمحرك البخاري ، ثقباً دقيقاً متقناً ، يرجع الى أساليب رجل يدعى ولكنسون ، كان قد تدرّب على هذا النوع من العمل في ثقب أنابيب المدافع . وهذا التقدم في صنع اسطوانات وط واجادة ثقبها ثقباً دقيقاً حتى لا يتفككت البخار منها ، جعل محركات وط آلات متفوقة في هذه الناحية . والى هذا الميدان من البحوث الحربية العلمية المتفاعلة ، يرجع بحث رمفرد الذي أفضى الى استخراج معادلته الخاصة بالمكافئ الميكانيكي للحرارة . وعلى هذه المعادلة قامت جميع المحركات التي تعتمد في طاقتها على الحرارة

ثم ان صنع الصلب صنعةً واسعة النطاق يرجع الى مقتضيات الحرب . والتقدم في هذه الصناعة يفوق كل تقدم آخر تقريباً من حيث هو ركن رئيسي من أركان الحضارة الصناعية الحديثة . وأصل هذا التقدم ان بسمير كان قد اخترع نوعاً خاصاً من السلاح الناري بين البندقية والمدفع ، في سنة ١٨٥٤ وكان ذلك في أوائل حرب القرم ، ولكنه لم يجد حديداً على جانب كافٍ من الصلابة ، يتحمل ضغط الغاز المتفجر داخل الأنبوب فعمد الى مباحثته التي أفضت الى أساليبه المشهورة في صناعة الصلب (الفولاذ)

ثم جاءت فترة الارتقاء المطرد السريع في أساليب المواصلات والنقل والمخاطبات واخترعت الطائرات وتقدمت صناعاتها ، حدث انقلاب عظيم الشأن في تنسيق حركة ملايين من الجند وتوجيههم ، وصحبها في الوقت نفسه ارتقاء أساليب حفظ الطعام وتقدم أساليب الطب فصار في الوسع أن تعيش جماعات كبيرة من الجند زمناً طويلاً بغير أن يصيبها الجوع أو تفشو فيها الأوبئة ، فغدت جميع هذه المباحث متصلة أوثق صلة بالحرب

ولم تدرك قيمة هذا التحول على وجهه الأوفى ، الا في اثناء الحرب العالمية الأولى . ومع ان وجوه التأهب العلمي والصناعي لتلك الحرب كانت عظيمة ، فان تجارب الحرب نفسها أثبتت ان هذا التأهب ليس وافياً ، وأنه لا يمكن ان يقف عند حد ما ، لان المسائل التي

واجهتها القيادات والحكومات ، كانت تقتضي اقتضاءً مستمرّاً ، استشارة العلماء والاعتماد على بنات قرائحهم . وعندئذٍ ثبت للعلماء وللحكومات جميعاً ، ان العلماء في الحرب ليسوا شيئاً كاليّا يمكن الاستغناء عنه ، بل هم ضرورة لا غنى عنها ولا مفرّ من الالتجاء اليها . ولا ينكر ان الحكومات بذّرت غير قليل من المواهب العلمية في بدء الحرب . فموزلي الذي خلّد اسمه وهو لا يزال في بدء العقد الثالث من عمره بين علماء الدهر ، كان يحتمل أن يغدو أعظم علماء الطبيعة الحديثة التجريبية لو امتدّ به الاجل ، ولكن سمحت له الحكومة البريطانية بأن يحارب في غليبولي ، فقتلته رصاصةٌ عابرة . غير أن موقف الحكومات من العلماء أخذ يتغير وفقاً لادراك الحاجة اليهم وقيمة الاعتماد على بحوثهم

— ٢ —

وكان من أثر الاعتماد اعتماداً مطّرداً على العلم في الحرب العالمية الاولى ، ان أصبح البحث العلمي لأغراض الحرب والبحث العلمي لأغراض السلم متلازمين . فالبحت في المواد المتفجرة اللازمة للقنابل على انواعها ، يجدي في تحضير المواد المتفجرة اللازمة لنسف المحاجر والناجم وشق الطرق في المناطق الصخرية . والبحث في الغازات الحربية يجدي في صنع مواد سامّة تصلح لمكافحة آفات الزراعة . ويقابل هذا ان البحث في اتقان أساليب الطيران لأغراض النقل والانتقال — وهي من اهم وسائل العمران الحديث في ابان السلام — يغدو عند نشوب حرب ما ، اساماً لا يحصى عنه للتفوق في الطيران الحربي . والواقع ان العالم خرج من عهد كانت فيه الحرب مهمة واقعة على طائفة خاصة من الناس ، الى عهد أصبح فيه جميع الناس في دولة ما ، جماعة محاربة . وفي هذه الحالة لا تشمل الحرب المقاتلين في الميدان بل الامة كلها وهذا أصدق ما يكون على هذه الحرب التي تعتمد الى أبعد حدود الاعتماد على الادوات الميكانيكية من دبابات وطائرات وسيارات نقل ومدافع سيارة . فاستعمال هذه الآلات يقتضي تحضير مقادير كبيرة من المواد المتفجرة ومشتقات النفط والغازات الحربية . ومع ان هذه الغازات لم تستعمل حتى الآن في هذه الحرب بحمد الله ، فان دولة ما لا تستطيع ان تتوانى في مواصلة البحث العلمي في تحضيرها ، وتحضير مقادير كبيرة منها ، لتكون متأهبة لمقابلة المثل بالمثل إذا اقتضت الحال ذلك . وهذا كله يفرض على الامة إعداداً صناعياً لا مثيل له في ما سبق من تاريخ الحضارة الصناعية

ولذلك يتعدّر على دولة ما ، لم تبلغ فيها الصناعة مبلغاً عظيماً من الارتقاء ، ان تواصل الحرب في احوال الحرب الحديثة . وفي طليعة هذه الدول أربع أو خمس هي المانيا وروميا

وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية واليابان وتليها فرنسا وإيطاليا
وأساس كل صناعة راقية، ماضية في طريق الرقي، هو البحث العلمي المحض والمطبّق.
فكل ما يعزز الصناعة القومية — والبحث العلمي ركن أصيل في هذا التعزيز — يعزّز
القدرة الحربية. واذن فالبحث العلمي في كل دولة هو في الواقع بحث حربي. وهذا أُصدق
ما يكون على الطائرات. فمذ ما اخترعت الطائرة لمح فيها رجال الحرب فائدتها الحربية،
وساهمت الحكومات في تعزيز البحث العلمي في صناعتها لهذا الغرض. وفي البلدان التي لم
يمنع فيها الطيران الحربي بحكم معاهدات الصلح، كانت الطائرات الحربية أكثر كثيراً من
الطائرات المستعملة في نقل الركاب والبضائع. وفي البلدان التي منع فيها الطيران الحربي كالألمانيا،
عزز الطيران المدني على قاعدة تحويله الى الحرب عند ما تقتضي الحالة ذلك
وبما هو جدير بالذكر في صدد الطائرات وتقدم صناعتها رغبة في التفوق او الاحتفاظ
بقصب السبق، ان المحرك البريطاني الموسوم «مرلين» رولز رويس» يعدُّ أشهر المحركات المستعملة
في الطائرات على الاطلاق. واليه يعود التفوق الذي عقد لواؤه للمطاردات البريطانية في معركة
بريطانيا. ولكن هذه الحرب سباق بين العقول المتكررة علاوة على كونها صداماً بين القوات
المدرعة. ولذلك كان لا بد له مخترعين البريطانيين — أو غيرهم — من ان يعضوا في تحسين هذا المحرك
— أو ما كان من قبيله — حتى يحتفظوا بقصب السبق، وحتى لا يفاجئهم الألمان يوماً ما بمحرك
طائرة أفضل من هذا المحرك. وما عرف عن أحدث طراز من محرك «مرلين» رولز رويس»
يشير الى انه يفوق من نواحٍ متعددة الطراز الذي كان مستعملاً قبل سنتين. فالقوة القصوى التي
يولدها أعظم والارتفاع الذي تستطيع ان تحلق اليه الطائرة، بينما المحرك يولد هذه القوة
أعظم كذلك، وهذه الصفة الاخيرة عظيمة الشأن في الطائرات المطاردة لأن قدرة الطائرة على
التحليق فوق الطائرات المعادية، وقدرة محركها على توليد القوة الوافية في أثناء التحليق
وعند ما تبلغ أعظم ارتفاعها، مزية حربية كبيرة. ولكن هذه المزية وان برزت الآن في
القتال، فانها ستكون ذات أثر فعال في ارتفاع المواصلات الجوية بعد الحرب. ولا يخفى ان
الاتجاه في المواصلات الجوية الى الطيران في الطبقة الطخورية، وهذا الطيران أسرع وأسلم
عاقبة لسكون الهواء. ولكن تحقيق الطيران في الطبقة الطخورية يقتضي فيما يقتضيه صنع
محركات للطائرات تستطيع توليد قوة محرّكة كافية على ارتفاع ٣٥ ألف قدم الى ٤٠ ألف قدم.
فالتقدم في صناعة محرك «رولز رويس» هذا وما كان من قبيله مرده الى حاجة حربية
ولكن فائده عمرانية عامة

- ٣ -

أما المواد الحربية التي تعدها الصناعات الكيميائية فهي المتفجرات والغازات الحربية والمطاط والوقود السائل في المقام الأول . وليس في وسع دولة كبيرة ان تواصل الحرب بغير اعداد وانفاق مقادير عظيمة جداً من هذه المواد ، تفوق اضعاف ما ينفق منها في أثناء السلام . وهذه المواد تصلح للاستعمال في اغراض السلم ، وقد يستثنى من ذلك الغازات الحربية . فالطلب على المواد المتفجرة مستمر وهو لازم في المحاجر والمناجم ومعظم اعمال الهندسة المدنية . وقد يبدو لمن يتعجل الحكم ان الصناعة الكيميائية لا شأن لها في المطاط والنفط ، ولكننا نعلم ان المطاط والنفط الطبيعيين ، موزعة مواردهما في الطبيعة توزيعاً غير متساوٍ ، فواردهما تكثر في بلد أو أكثر وتقل في بلاد أخرى . فأوروبا ليس فيها مطاط ، وموارد النفط فيها يسيرة بالقياس الى المقادير المستهلكة . ولذلك التفت الباحثون بدافع من أنفسهم وتشجيع الحكومات الى البحث عن أسلوب صناعي لصنع هاتين المادتين . وقد تنفق ملايين من الجنيهات في استنباط أساليب لتحقيق هذه الصناعة ، ثم تستنبط أساليب أخرى أوفى بالغرض ، أو تكشف مواد أخرى أصح للغرض . فذلك ليس مدار البحث هنا ، بل مداره ضرب أمثلة على توجيه البحث العلمي في نواح كثيرة ، توجيهاً مردّه الى مقتضيات الحرب ثم ثبت في ابان السلام ان الفائدة التي تجنيها الحضارة من هذا التوجيه عظيمة حقاً

ان الأساليب والمواد المستعملة في صناعة المتفجرات والغازات وما أشبه ليست وفقاً على أحد من الناس دون غيره . والعناصر الاساسية في المتفجرات هي الحامض النتريك والحامض الكبريتيك وبعض مشتقات قطران الفحم الحجري مثل الطولوين وشقي المواد الخشبية (السلولوسية) كالقطن . وجميع هذه المواد استعملت استعمالاً واسع النطاق متعدد الوجوه في ابان السلام ، ولكن الرغبة في الحصول على مقادير عظيمة منها وضمان الحصول عليها في أثناء الحرب ، كان باعثاً قوياً على البحث عن أساليب أخرى لتحضيرها

فقد كان الكبريت اللازم للحامض الكبريتيك يستحضر قبلاً من ركازات الكبريت الجيدة ، حيث نسبة الكبريت في الركاز عالية ، أو من الترسبات الكبريتية . ولكن هذه الموارد للكبريت كانت محصورة في مناطق قليلة في اسبانيا وايطاليا (صقلية) والولايات المتحدة . ولذلك لا يصحّ لدول أخرى أن تبني كل اعتمادها على ما تستورده من كبريت هذه البلدان . ففقرت الحاجة الباحثين الى استنباط طرق تمكنهم من استخراج الكبريت من موارد تقل فيها نسبة الكبريت فأفضى ذلك الى استنباط هذه الطرق . وبالاتماد عليها لا يمكن ان تبلغ حاجة دولة صناعية كبيرة الى الكبريت ، حدود العوز

وجاءت فترة كانت فيها شبكة الحمول على مقادير وافية من الحامض النتريك مشككة

ملحة. فمادة النترات الطبيعية كانت تصدر من شيلي وعند نشوب الحرب العالمية الاولى، قطعت صلة المانيا بجمهورية شيلي بفعل الحصر البحري. فاستنبت فرت زهار العالم اليهودي الالمانى طريقته المشهورة لثبيت نيتروجين الهواء. وهذا أفضى الى تحضير النترات بغير قيد الاقيد قدرة الاجهزة المعدة للإنتاج، فأمدى الى المانيا خدمة حربية في المقام الاول، وبلغ بعد ذلك التقدم في صناعة مادة النترات الكيميائية ان نافست مادة نترات شيلي الطبيعية ومثل هذا يقال في صناعة المطاط في الولايات المتحدة. فقد كانت تعتمد على المطاط الطبيعي فقطعت معظم موارده عنها بعيد دخولها الحرب فتأهب علماءها ورجال الصناعة فيها لإنشاء مصانع لصنع المطاط بالتركيب الكيميائي بأسلوبين مختلفين وستصنع منه مئات الألوف من الأطنان. وهذا القول ينطبق في حدود معينة على ما تصنعه المانيا من المطاط والنفط بالتركيب الكيميائي. ولا بد ان توجد وجوه كثيرة من الفائدة لهذه المواد والأعواض الأخرى بعد ما تنتهي الحرب، ولا ريب في انها ستكون مبيلاً من سبل تحقيق الوفرة العالمي الذي يرنو الى تحقيقه ببناء العالم الجديد

ثم خذ التصوير الضوئي مثلاً. فقليل من الناس من كان يعلم ان أجود المصورات الضوئية في صناعة الصور المتحركة بكينفوريا كانت تعتمد على عدسات مصنوعة في بريطانيا. ومع ذلك فقتضيات الحرب جاءت حافزاً قوياً للامعان في اتقان أساليب التصوير الضوئي، ولا سيما أجهزة التصوير التي تحتاج اليها الطائرات المستكشفة في الليل والنهار. فقد كشف البريطانيون رواسب جديدة من السليكا أجود من الرواسب التي كانوا يعتمدون عليها في صنع العدسات قبل الحرب. واتقن كيميائيوهم تحضير مستحلبات نترات الفضة التي لا غنى عنها في صنع الأفلام المصورة بحيث غدت هذه الأفلام قادرة ان تسجل تفاصيل الأشباح الى حدود جزء من مائة جزء من ثخانة الشعرة. والاتقان في هاتين الناحيتين له فائدتان، وهاتان الفائدةان لا تقتصران على الاستعمال الحربي، وان كانت المقتضيات الحربية مبعثهما في المقام الاول. أما الفائدة الاولى فاتقان المصورات الضوئية المعتمدة في التصوير من طائرات محلبة وهذا لازم في الرياد والاستكشاف. وأما الفائدة الثانية فدراسة الفلزات ودقائقها وبعض الاجسام الحية الدقيقة وهذه الدراسة اصبحت لا غنى عنها في الصناعة الحديثة لتجنب المخاطر التي قد تنشأ عن قطعة صلب فيها موطن ضعف او شرخ في الداخل، وفي علوم الاحياء والطب ولسنا في حاجة الى تبيان تأثير الحرب في ارتقاء أساليب حفظ الطعام ونقله. فحروب نبوليون شهدت ابتكار أسلوب حفظ الطعام في العلب، والحرب الاهلية الاميركية أسلوب صنع اللبن الحليب المكثف، والحرب العالمية الاولى أسلوب اعداد اللبن الحليب المبخر. وهذه الحرب صناعة تخفيف الطعام وما يتصل بها

— ٤ —

وهناك ناحية من العلم قلّما تقرن أول وهلة بالحرب ، وصلتها بالحضارة ليست بالصلة التي تستوقف النظر . ونعني بها الريادة القطبية . ومع ذلك لا مفرّ من الاعتراف بأن أعمال الرواد في المنطقة المتجمدة الشمالية حول القطب وفي جواره ، من يبري في أوائل هذا القرن الى الطيارين الروس قبيل نشوب الحرب ، قد تكون وثيقة الصلة بالحرب نفسها ، ومن المحتمل الذي في مرتبة اليقين أن تكون كذلك وثيقة الصلة بارتقاء المواصلات الجوية بعدها أي دري القاريء الكريم ، ان الطريق الجوي فوق القطب الشمالي بين الولايات المتحدة وسيبيريا هو أخضر الطرق بين البلدين وأسهلها من غير وجه واحد ؟ وان مسافة الطيران بين جزيرة جرينلندا ومورمانسك فوق البحر القطبي لا تزيد على ١٣٠٠ ميل بينما المسافة بين جزيرة نيو فوندلند واريوندا تبلغ ألفي ميل ؟ وقد أثبت السرهوبرت ولكنز ان الطائرات الخفيفة تستطيع أن تحطّ على قطع الجمد القطبي الكبيرة المتحركة وان تشيل منها . وأثبت الطيارون الروس ان طائرات النقل الكبيرة تستطيع أن تفعل ذلك كذلك . وثبت علاوة على ما تقدم ان هيئات الرجال التي لا بدّ منها لتنظيم مهابط الطائرات وتزويدها بالوقود . استطاع على الجمد القطبي . وقد علم من زمن ان في الوسع اعداد مطارات على الجمد الذي يغطي شمالي جرينلندا وغيره من المناطق القطبية ، بل أيّد التجارب ان جمد جرينلندا الشمالي يصلح مهبط طائرات متراحي الأطراف . ولعلّ القاريء في حاجة الى التذكير بما تمّ على أيدي الرواد الحديثين في استكشاف المنطقة المتجمدة الشمالية بالطائرات في العشرين السنة الأخيرة

في السنوات بين ١٩٢٥ — ١٩٢٨ طار امندسن والنويجي وبيرد الاميركي ونوبيلي الايطالي بالطائرة والبلون فوق القطب الشمالي . وفي سنة ١٩٢٧ أثبت ولكنز الاسترالي الأصل ان الهبوط بالطائرة على الجمد القطبي ثم الطيران منه مستطاعان . وفي سنة ١٩٣٢ والسنوات التي تلتها أرسلت شركة « پان اميركان » للمواصلات الجوية أربع بعثات الى جرينلندا لتخطيط طريق جوي فوق المنطقة القطبية ثم طار لندبرغ فوق هذا الطريق موفداً من قبل هذه الشركة . وفي سنة ١٩٣٧ نزلت بعثة روسية قرب القطب الشمالي لرصد الاحوال الجوية هناك وظلت مقيمة ثمانية أشهر الى تسعة أشهر ترصدها وتذيع نتائج أرصادها ولم تتوقف عن عملها العلمي حتى بعد انفصال قطعة الجمد التي كانت مقيمة عليها وعومها أسابيع أو أشهراً . وفي سنة ١٩٣٧ طار الطيارون الروس مرتين من موسكو الى كاليفورنيا مارين فوق القطب أو فوق المنطقة القطبية الشمالية

وفي السنة نفسها ذهب ولكنز باحثاً عن الطيار ليفانفسكي الضائع فأثبت ان احوال الطيران

في اثناء الليل القطبي اصلح عند ما يكون القمر بدرًا منها في النهار في اثناء الصيف القطبي ولولكنز مأثرة اخرى وهي انه أثبت ان الغواصات تستطيع ان تسير تحت طبقة الجمد في البحار القطبية ولا تحتاج الى الغوص اكثر من خمس عشرة قدماً ولا ان تقطع اكثر من خمسين ميلاً قبل ان تجد جفوة تصعد منها الى السطح . وليس في البحار القطبية جبال جمد كالتي تعرقل طريق السفن في المحيط الاطلسي في الربيع واول الصيف . وجبال الجمد في المحيط الاطلسي مرجعها الى قطع كبيرة من الجمد تنفصل من انهار الجمد الكبيرة في جزيرة جرينلندا . ومن المقرر الآن ان البحر القطبي الشمالي أدفأ مما كان يظن وحالة جوه قليلة الاضطراب

هذه هي الحقائق . وفي وسع الباحث ان يخلص منها الى نتائج ذات شأن عظيم في ما يتعلق بالحرب ، وفي ما يتعلق بالمواصلات الجوية بعدها . اما في ما يتعلق بالحرب فاستعمال طائرة النقل الضخمة ، يتيح للدول المتحدة ، نقل مقادير كبيرة من مواد الحرب النفيسة الضرورية من الولايات المتحدة الى شمالي روسيا ، من أخصر طريق وأسلمه من اعتداء الالمان عليه . واما في ما يتعلق بمستقبل المواصلات الجوية بعد الحرب ، فان استعمال هذا الطريق في خلالها ، يتيح فرصاً للتوسع في رصد الاحوال الجوية ، وتدريب مئات او ألوف من الطيارين على سلك هذا الطريق ، فاذا وضعت الحرب اوزارها واستوى النقل الجوي على القواعد المنتظرة ، كانت مغامرات الرواد ، خلال ثلث قرن من الزمان ، قد أسدت خدمة الى الدول المتحدة في الحرب ، وكان الاختبار الذي يجنيه الطيارون خلال الحرب تمهيداً لانظام السفر الجوي بعدها

ولعل أبلغ مثل على فائدة الطيران فوق المنطقة القطبية الشمالية يتجلى في المسافة بين نيويورك وفلاديفستك . فالمسافة بين المدينتين عن طريق سان فرانسيسكو ثمانية آلاف ميل منها خمسة آلاف فوق المحيط الهادي ، ومناطق واسعة من هذا المحيط في غربيه خاضعة لليابانيين وفي وسعهم عرقلة النقل الجوي بين سان فرانسيسكو وفلاديفستك . ولكن اذا طارت الطائرة من نيويورك شمالاً صوب القطب ، بدلاً من ان تطير غرباً الى سان فرانسيسكو ثم اذا استأنفت طيرانها الى شمالي سيبيريا فالى فلاديفستك ، بدلاً من ان تستأنف غرباً فوق مياه المحيط الهادي الشاسع ، فعندئذ تكون المسافة بين نيويورك وسنته آلاف ميل على الأكثر . ومن هذا القبيل الطريق الجوي الذي يجتاز أواسط القارة الافريقية والطريق الجوي من الهند الى الصين . فكلاهما ألشئ استجابة لضرورات الحرب . واذا كان استمرار النقل الجوي بين الهند والصين متعذراً بعد الحرب لمشقة الطيران فوق جبال حماليا ولوجود طرق أخصر وأسهل ، فن المحتمل أن يبقى الطريق الافريقي مستعملاً وأن تنشأ له فروع

جامعة فاروق الاول^(١)

افتتاحها الرسمي

في ٨ فبراير ١٩٤٣

أقبل موكب جلالة الملك فاروق الاول قبيل الساعة الثانية عشرة ووصل دار الجامعة في الثانية عشرة تماماً فخف لاستقبال جلالته الأمراء والنبلاء ورئيس مجلس الوزراء والوزراء ورجال الجامعة ، وما استقرّ المقام بجلالته حتى وقف معالي وزير المعارف نجيب الهلالي باشا وألقى خطبة الحفلة فلما وصل الى ختامها استأذن جلالة الملك في تقديم مدير الجامعة (بالنيابة) الدكتور طه حسين بك ليلقي بين يديه كلمة الجامعة . فلما انتهى من القائها استأذن في أن يتقدّم وكيل الجامعة مصطفى عامر بك فيتلو قرار مجلسها في شأن اهداء الدكتوراه الفخرية الى جلالته . وعندئذٍ تقدم مصطفى عامر بك ونالا القرار وهذا نصه :

« تقديرآ لما لحضرة صاحب الجلالة فاروق الاول ملك مصر من عطف كريم على العلم واعترافاً بفضلِهِ العظيم بإنشاء جامعة فاروق الاول قرّر مجلس هذه الجامعة في جلسته المنعقدة في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٢ أن يهدي الى جلالته درجة الدكتوراه الفخرية للجامعة »
ثم تقدم معالي وزير المعارف ومدير الجامعة ووكيلها نحو جلالته فنهض جلالته فألبسه الوزير الثوب الخاص بالدكتوراه وهو ثوب جامعي أبيض الكتفين . ثم هتف ثلاثاً فردّد الحاضرون الهتاف . ثم دعي جلالته الى اراحة السنار عن لوحة تذكارية لإنشاء الجامعة أعدت على حائط مدخل كلية الحقوق ، وهي لوحة من نحاس نقش عليها العبارة التالية :
منارة الاسكندرية على شاطئ البحر جامعة فاروق الاول أمر بإنشائها ملك مصر المعظم فاروق الاول رفع الله ذكره وأسعد عصره . وقد تفضّل فشرّف الجامعة بزيارته الكريمة تهدي إليه الدكتوراه الفخرية في الثالث من شهر صفر سنة اثنتين وميتين وثلاثمائة والف للهجرة الموافق ٨ فبراير سنة ١٩٤٣ الديالاد في حفلٍ من وجوه الدولة . وقد تعطف حفظة الله فازاح الستار بيده الكريمة عن هذه اللوحة التذكارية

(١) راجع وصف تاريخ انشائها وافتتاحها في مقتطف يناير ١٩٤٣ ص ٨

خطبة الهادلي باشا

مولاي صاحب الجلالة : هذا يوم عظيم تزهى الجامعة بشرفه المجيد ، اذ تحظى فيه بمطعمكم السعيد ، وهو في حياتها يوم عيد أقبل كما تتمنى وتريد ، واثقة انها في ظلكم المديد مدركة مرادها القريب والبعيد

مولاي : لم يُعرف التعليم الجامعي في مصر الا على يد والدكم العظيم فهو مصدر وجوده وحياته بل هو حسنة من حسناته وخطرة من خطراته . ولقد تولى الجامعة الاولى مجرد فكرة فغرسها بذرة وأنبتها شجرة باسقة طيبة مثمرة . وإن جامعة فؤاد الاول لنتية نغراً بأن والدكم العظيم كان أول رئيس عامل لمجلس جامعتها وهي لا تقتأ تذكر أنه ، رضوان الله عليه ، كان وليها ومولاها لانه هو الذي اصطنعها وأكملها ووفها

وها هي ذي جامعة فاروق الاول تحظى عندكم يا مولاي بما حظيت به جامعة فؤاد الاول عند والدكم العظيم . فقد تلقى حكومتكم وحياء عن ارادكم العالية فضت في انشائها برعايتكم المتواليه . وقد نبئت في عهدكم السعيد وأوت من عزكم الى ركن شديد . وقد تفضلتم فأذنتم في أن تحمل الجامعة اسمكم الكريم ، وفي هذا من معنى التكريم والشرف العظيم ما أطلق ألسنة الجامعيين بالشكر والدعاء وجمع قلوبهم على المحبة والولاء وحسن الوفاء للميكهم المحبوب وقد شاءت الاقدار السعيدة ان يكون حظ الاسكندرية انشاءً وحياءً على يد ملكين عظيمين ، وهما في مستقبل الشباب ، فقد أنشأها الاسكندر الاكبر وهو في سن الرابعة والعشرين وأحيائها فاروق الاول وهو في الثانية والعشرين . وقد كان الاسكندر تلميذاً لارسطو المعلم الاول فشب على حب العلم والعلماء وعلى عهده وعهد بطليموس صاحب عسكره انشئت الاسكندرية وانشئت فيها مدرستها الكبرى فكانت اول جامعة في العالم كما كانت الاسكندرية أعظم مدينة في العالم وقد أصبحت مركزاً للعلم والفن بذاً أثينا نفسها وفي الاسكندرية تلاقى العلم العملي الذي توارثه اهلها عن مصر القديمة مع العلم الاغريقي فأنتج أطيب الثرات في الطب والرياضة والجغرافيا والفلك والمساحة والهندسة والميكانيكا والكيمياء والادب والفن ولكن مدرسة الاسكندرية ذهبت مع الريح وبقيت الاسكندرية من غير جامعة ترفع من مكانتها وتنتشر أشعة العلم من مناراتها . كانت حالة بالعلم فأصبحت عاطلة كما أصبحت منضولة بعد اذ كانت فاضلة . وكان في ضمير الدهر سر كامن وهو ان لا يعود الى الاسكندرية مجدها وعلمها الا اذا لاح في الأفق المبين صاحب عرش مكين فتى السن وضاح الجبين

وها أنتم يا مولاي تحققون تلك الآية وتبلغون في تحقيقها كل غاية . ففي رحابكم وبقوة شبابكم أمكن انشاء هذه الجامعة الكبيرة في فترة قصيرة وبذلك أصبحت للاسكندرية

أحدث جامعة في العالم كما كان لها أقدم جامعة . ولعل جامعتها الجديدة هي الجامعة الوحيدة التي أنشئت في وقت الحرب في الدنيا بأسرها وهذا مما يزيد في قدرها ويرفع من ذكرها مولاي : كان الملوك الاقدمون يتباهون في اكرام العلماء واختصاصهم بالمودة والعطاء ، فاذا احتوى بلاط الملك عالماً جليل القدر سجل له التاريخ هذه الآية . فانظر يا مولاي كم من العلماء يعيشون في ظلكم الظليل وينعمون بعطفكم الجميل . لذلك حق على الجامعة يا مولاي ان تسعد بحظ من جميل الشكر توجهه الى سدّتك العلية ، وها قد أنجز الاقبال وعده ووافق الطالع معده ، وكفى الجامعة من الفخر والتميه بعض ما هي فيه

ولقد أحست الجامعة يا مولاي ان قدرة الحمد والشكر تقصر عن الوفاء بنعمتكم ، فرأت ان تهدي الى جلالتم أشرف وأتمن ما تملك ، استدلالاً بالمرض على الضمير وهو قصارى الجهد عند ما يكون الاهداء من الصغير الى الكبير . وما هذه الهدية الا فضل من أفضالكم ، وجنى من صالح أعمالكم وثمرة من غرسكم تقدم لكم ، وشعاع من نوركم يعود اليكم . وليس لي في هذا اليوم المشرق بالجمال والجلال الا أن أصير من الثناء عليكم الى الدعاء لكم أعانكم الله على ما قلّدتكم وأطلق بالخير يدكم وأطال في السعد أمدكم وبأذنكم الكريم يا مولاي أختتم هذه الكلمة شاكرًا لجلالتم التفضل بسماحها مستأذناً في ان تسمحوا لخصرة مدير الجامعة ان يلقي بين يديكم كلمة الجامعة

خطبة الركنور طه صبين بك

مولاي صاحب الجلالة

أعلنت قدر الجامعة فليزد الله قدرك علواً ورفعت ذكر الجامعيين فليزد الله ذكرك ارتقاءً وايدت سلطان العلم فليزد الله ملكك عزاً وتأييداً . النجح مقرون بشخصك العظيم يا مولاي أقبلت على مصر فأقبلت عليها الدنيا وهضت بملكها فتمت لها عزته ودبرت امرها فانجلت عنها الغمرات وانجابت عنها الخطوب . واليمن مقرون باسمك الكريم يا مولاي . نذكره فتشجذ العزائم وتنفذ البصائر وتبعد الهمم واذا العصي من الامر يسمح واذا القصي من الامل يقرب واذا الصعب من الطلاب يهون . هذه جامعتك كانت امنية مطوية في ضمير الاسكندرية منذ القرون المتطاولة والعصور المتباعدة تنطلع اليها ولا تبلغها تدنو منها لتبعد عنها تحس حر الشوق اليها ولا تجد برد الظفر بها حتى استيأست من هذه الامنية او كادت تستيأس وحتى جعلت تنظر اليها كما ينظر المستيقظ الى الحلم الخلو قد نسي اكثره ولم يحتفظ منه الا باطراف متضائلة ثم اقترن التفكير فيها باسمك الكريم فاذا هي حقيقة ماثلة كاملة شاملة قد تم خلقها واستكلت قوتها واستجمعت أهبتها للدرس والبحث والانتاج لم تنجم للاسكندرية معهداً معهداً ولم تقدم اليها كلية كلية وانما أنشئت كلياتها السبع مفتحة

الابواب لاستقبال الطلاب كاملة الاداة موفورة النشاط قادرة على ان تنشر ضوء العلم في فروع المعرفة الانسانية جميعاً . ولم يكذب قبل العنাম الجامعي حتى قارب المتعلمون فيها خمس عشرة مائة وقارب المعلمون مائتين . وهيئت لاساتذتها وطلابها المعامل والمكتبات متواضعة ولكنها قابلة للنمو قادرة عليه . وتسامع بها الناس في الشرق العربي فسعوا اليها يطلبون فيها العلم ويلتمسون عند اساتذتها المعرفة . ذلك لانك يا مولاي لا تبغض شيئاً كما تبغض ان يقرر على شعبك في علم او مال ولا تحب شيئاً كما تحب ان يوسع على شعبك في كل وجه من وجوه الخير وقد أحسست يا مولاي ان شعبك مشوق الى العلم تَوَّاق الى المعرفة طامع في المجد طموح الى الرقي فأبى حبك له وعطفك عليه الا ان تنيله من ذلك ما يتمنى وتبلغه من ذلك ما يريد . وما هي الا عزيمة ماضية من جلالتك واستجابة صادقة من حكومتك حتى كانت هذه المعجزة الخارقة وحتى ينظر الشرق والغرب فاذا مدينة الاسكندرية تسترد في اقصر وقت واخطره مجدها العلمي القديم ومكانتها الرائعة التليدة في نشر الثقافة وتقريب الاماد بين اعم الارض على اختلافها كدأها حين كانت اعظم مدن الارض قوة وبأساً وأرقاها في العلم والادب وفي الفلسفة والفن لله أنتم آل البيت العلوي الكريم ما اعظم فضلكم على الحياة العقلية في مصر لقد بعثتموها قوية نشيطة ثم ما زلتهم تتعهدونها بالتأييد والتشجيع حتى اصبحت جذوتها المقدسة نوراً ساطعاً يغمر الشرق كله . فخدمكم العظيم يزكيها ويبعث فيها الروح الحديث ويصل بينها وبين حضارة الغرب . وابناؤه من بعده يتبعون نهجه ويمضون في طريقه ويسرعون بمصر الى تحقيق ما ادخر القدر لها من مجد ويجعلونها مركز الاتصال حقاً بين العالمين

ثم هذا اسماعيل العظيم ينشر التعليم العام الذي يقصد به الى المعرفة الخالصة والثقافة الصرفة وهذا فؤاد العظيم ينشئ جامعة في القاهرة الى ما انشأ من معاهد العلم والثقافة

وهذا فاروق العظيم ينشئ جامعة في الاسكندرية الى ما أنشأ وما سينشئ من معاهد

العلم والادب والفن . وكانما كان أبو الطيب ينظر اليكم حين قال

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

اذن لي يا مولاي في ان اصور لهذا الجيل الحاضر وللاجيال المقبلة من شعبك عطفك على هذه الجامعة ورعايتك لها في غير زيد ولا اسراف . انها ابنتك يا مولاي منحتها الحياة ونفخت فيها من روحك العظيم وتفضلت عليها باسمك الكريم فلم تكذب تشعر بهذا الوجود الذي اهديته اليها حتى كان ذكرك اول ما نطقت به وحتى كان شكرك اول ما اسرعت اليه واذا مجلسها يسجل في اول صفحة من كتابها الخالد هذا القرار الساذج الذي ان دل على شيء فانما يدل على انه يريد الشكر ولكنه يعجز عن الشكر فيكتفي بتسجيل هذا العجز ويستأذن جلالتك في أن يهدي اليك درجة الدكتوراه الفخرية للجامعة . وأنت عطوف على جامعتك يا مولاي رفيق بها

مشجع لها لا يكاد يرق اليك صوتها حتى تصغي اليه ولا يكاد يبلغك دعاؤها حتى تستجيب لها ثم لا تكتفي يا مولاي بما قدمت من نعمة حتى تضيف اليها نعمة أخرى . وها أنت ذا تتفضل فتقبل هدية الجامعة ثم تتفضل فتسعى اليها لتتلقى منها هديتها اكاراً لشأنها واعلاءً لقدرها واذناً لها بأن تمنح من درجات العلم والفخر ما تشاء لمن تشاء . وما يمنعها من ذلك وقد أهدت اليك درجتها الفخرية فقبلتها . ولا يبلغ الجامعة انك قد أسديت اليها هذه الكرامة وتفضلت عليها بهذه المنة وأذنتها بزيارتك السعيدة ، حتى تنتظرك مشغوفة بك مشوقة اليك كأنها الروضة تنتظر قطر الندى الذي يبعث فيها الحياة وضوء الشمس الذي يسبغ عليها البهجة ومرء النسيم الذي يحمل عنها العبير فيعطر به الأجواء في كل مكان . وها أنت ذا يا مولاي قد أقبلت فبعثت فيها من قوتك قوة ومن جلالك جلالاً ورفعت ذكرها في آفاق الشرق والغرب . فكيف السبيل لها الى ان تنهض بشكرك وأين الوسيلة لها الى ان تؤدي بعض حقك ! انما هو فضل منك يضاف الى فضل ومنة منك تضاف الى منة . ومع ذلك يا مولاي فان الجامعيين يعرفون الطريق الى رضاك ويعرفون كيف يسلكون هذه الطريق ويستأذنونك في أن يقطعوا على أنفسهم العهد بين يديك أن يبذلوا في سبيل ذلك من الجهد أقصى ما يستطيعون . انهم يعرفون مثلك العليا ويعرفون ان من اراد ان يبلغ رضاك ، فليس عليه إلا ان يحب من الخير ما تحب ويسعى من المجد الى مثل ما تسعى اليه

أحب شيء اليك وأثر شيء عندك يا مولاي ان يؤدي كل مصري حظه من الواجب الذي تفرضه عليه الحياة المصرية على أتم وجهه وأكمله في غير فتور ولا تقصير . والواجب الذي تفرضه الحياة المصرية على الجامعيين هو أن تخلص عقولهم وقلوبهم وضائرم للعلم يحبونه كما تحبه وينصرونه كما تنصره ويتخذونه كما تريد أن يتخذ وسيلة الى معرفة الحق ما امكن الوصول الى الحق واداة الى تقويم الخلق وتنقية الضمير وتصفية الذوق وتنقيف الشعب على اختلاف طبقاته وتكوين أجيال مخلصة للحق مؤثرة للعدل قادرة على احتمال التبعات والنهوض بالواجبات الوطنية مهما تكن ومواجهة مصاعب الحياة التي تزداد تعقداً من يوم الى يوم والجامعيون يأخذون أنفسهم بأن يقفوا على هذا كله جهودهم وأوقاتهم وان يبذلوا في سبيله صفوة ما يملكون من قوة وأيدٍ

وأنت بعد كل شيء وقبل كل شيء صورة الوطن ورمز عزته ومظهر جلاله . فالجامعيون يأخذون أنفسهم بأن تكون جهودهم كلها خاصة لمجد الوطن العزيز والعرش المقدس بهذا يا مولاي وبالسعي الى هذا يبلغ المصريون رضاك اذا جدوا واجتهدوا وأخلصوا . وعلينا العهد يا مولاي أن نكون دائماً في طليعة الجادين المجتهدين المخلصين أطال الله بقاءك يا مولاي وأدام نعمته عليك وأدام لك على شعبك الوفي الأمين

كيف ينبغي

ان يوجه العلم والعلماء في مصر

لتحقيق تعاون عالمي^(١)

للدكتور احمد زكي بك

مدير مصلحة الكيمياء

— ١ —

قبل ان نبحث في كيف يوجه العلم والعلماء في مصر في سبيل التعاون المرجو بين الأمم ، بعد انتهاء الحرب القائمة ، يجب ان نصف اولاً ما هو العلم ومن هم العلماء في مصر الذين يراد توجيههم . إن العلم والعلماء في مصر أشتات ، لم تتحدد لهم صفة يسهل فهمهم في الأكثر نظام . وهم لا يمثلون كل صنوف العلم التي عرفتها بلاد الغرب . ففي صفوفهم فراغ كبير ننتظر الايام ان تملأه . وهذا الفراغ ليس لقلّة صنوف العلم وحدها ، بل هو كذلك لقلة الرجال في الصنف الواحد

ولزيادة الايضاح نقسم العلوم الى علوم بحثية ، الى علوم اكدمية . والى علوم تطبيقية . وهذا تقسيم بناؤه على الأغراض التي تتوخاها تلك العلوم . فالعلوم البحثية هي التي لا غرض لها الا المعرفة ، والمعرفة لذاتها ، ولذتها ، أمكن ترجمتها الى لغة المال او لم يمكن ذلك . والعلوم التطبيقية هي التي تنفع الناس في الحياة ، في حياتهم المادية لا الروحية ، وتنفعهم نفعاً مباشراً . ومن العلوم البحثية الرياضة والطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات والجيولوجيا وأمثال هذه ، وما يتفرع عليها مما يدرس في كليات العلوم في الجامعات . ومن العلوم التطبيقية الهندسة ، بأقسامها الميكانيكية والكهربائية والبنائية والمساحية والمائية وغير ذلك من ضروب الحيل في استخدام قوى الطبيعة وتسخيرها في خدمة الانسان . ومنها العلوم الصناعية من كيميائية وغير كيميائية . ومنها علوم الطب بأنواعها المختلفة من باطنية وجراحية وبشرية وحيوانية ، وعلاجية ووقائية . ومنها علوم الزراعة . وتتضمن خير الطرق لاستكثار المحاصيل واستنبات الانسال . وليس قصدي استقصاء أنواع هذه العلوم . ولا قصدي الاتيان بكل فروع النوع الواحد . فهي كثيرة لا يكاد يحجمها حصر . ومن رام عدّها دخل

(١) التي هذا البحث محاضرة في الجامعة الاميركية بالقاهرة

في مرافق الحياة حتى أزقتها الصغرى وحظ مصر من هذه العلوم ليس بالقديم فإن قلنا أنها بدأت تأخذ من هذه العلوم في أواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن الحاضر لم نعد الصواب عدواً كبيراً . وقد يجد المستقصي شيئاً أو أشياء بدأتها مصر قبل هذا العهد من هذا العلم أو من ذلك ، وقد يذكر لنا اسم هذا العالم أو ذلك ، ولكن هذا لا يؤثر في الحقيقة العامة وهي أن العلم في مصر ، بأنواعه الكثيرة المعروفة اليوم على قلتها ، وبأحجامها الحاضرة ، وما تشغله اليوم من فراغ على صغره ، هو على الأكثر وليد هذا القرن لا وليد قرن سبقه . ولا يعجب أحد من هذا . ولا يستصغرن أحد هذا . فالعلم الحديث هو في العالم كله وليد بضعة قرون . ومنه ما هو وليد قرن واحد ومنه ما هو وليد قرنين

وعلى هذا فالأحياء اليوم من علماء مصر ، كثير منهم من عايش العلم الحديث في نشأته . فإذا نحن تحدثنا ، فإنما نتحدث عما رأينا وسمعنا

ولعل أول ما سبقت إليه مصر من العلوم البحتة ، علم الرياضة . وليس هذا بغريب . فمن الوجهة المنطقية نجد أن الرياضة تسبق الطبيعة لأنها أساس لها . والطبيعة تسبق الكيمياء لأن الطبيعة تبحث من تغيرات المادة ما ظهر منها ، وتبحثها عامة ، والكيمياء تبحث من تغيرات المادة بواطنها ، وتبحثها خاصة . والظاهر العام يسبق حتماً ما بطن وما خص . وسبب آخر ، أن الطبيعة والكيمياء تحتاج إلى أجهزة ، تحتاج بدورها إلى دربة . وفوق الدربة فهي تحتاج إلى المال . والرياضة جهازها صحيفة من ورق وقلم من رصاص . وهذا للفقير البادئ ميسور إذا ما تيسر الذكاء . ولعلنا بسبب هذا كانت الرياضة أول العلوم الحديثة التي شاعت دراستها في مصر في العهد الحديث . ومن أجل هذا نسمع أول ما نسمع في تاريخ مصر بالرياضيين والفلكيين ، ولا نكاد نسمع بالطبيعيين والكيميائيين . وقد نسمع عن الفوا في الحيوان والنبات ، وما يتصل بهذين العالين من مناطق المعارف . وذلك لصلتهما ببضاعة البلد القدي . بالزراعة وقد جاءت الحرب الماضية حرب عام ١٩١٤ وليس في مصر معهد يتمثل فيه تعليم العلوم البحتة مجتمعة غير دار واحدة ، هي مدرسة المعلمين الخديوية . وقد سميت بعد ذلك مدرسة المعلمين السلطانية ، فالمعلمين العليا . وقد حظيت بالتخرج منها . وكان أوسع برامجها برنامج الرياضة ، يليه برنامج الطبيعة والكيمياء . أما فروع العلم الأخرى من نبات وحيوان وجولوجيا ، فكانت تدرس مجتمعة وعنوانها التاريخ الطبيعي ، وذلك اختزالاً لها . وكنت وأنا طالب بها أجهل بالطبع إلى أي مستوى في تلك العلوم بلغنا ، فلما ذهبت إلى انكترا ، ودخلت أدرس من جديد في جامعاتها ، عرفت عندئذ ، وعندئذ فقط ، نسبة ما كنا ندرس في مصر من هذه العلوم إلى ما يدرس منها في أوروبا . كانت نسبة البرامج المصرية هبطت بانقراضها كلها

انتقل المقارن من الرياضة الى الطبيعة فالكيمياء فالنبات والحيوان والجولوجيا . وحضرت امتحاناً بعد وصولي انكائراً بأشهر ، فنلت في الرياضة رقماً لم ينله غيري من عديد الطلبة ، ٩٨ في المائة ، دلالة على ارتفاع مستوى الرياضة الذي كان في مصر . أما في الكيمياء والطبيعة فخدمت الله بعد تحضير مركب في المعامل أن حصلت ما نقصني ، وعوضت ما فاتني ، فجزت الامتحان بشيء من مجهود

وليس أدل على ما كان بمصر من العلوم البحتة في الحرب الماضية ، من أن هذا العهد ، وهو الوحيد الذي مثل العلوم ، لم يكن به للعلوم أساتذة مصريون غير واحد ، درس لنا التاريخ الطبيعي ، وكان أوطأ هذه العلوم برنامجاً . ولعلّ تدريسه اياه ، وهو المصري ، كان من بعض أسبابه انه كان حتماً تدريسه بالعربية . ولكن كذلك كان تدريس الرياضة بالعربية . ولكن درسها مدرسون انكليز ، ودرسوها بالعربية بعد أن تعلموها

واحتاجت المدارس التطبيقية ، مدرسة الطب ، ومدرسة الهندسة ، ومدرسة الزراعة ، الى أساس لطلبتها من العلوم البحتة ، تبني عليه ، وتطبق به ، فصنعت هذا الأساس محلياً ، ودرست هي لطلبتها ما احتاجت اليه من هذه العلوم ، بالقدر الذي احتاجت اليه . ولم يكن مقداره كبيراً . ولعله في أكثر هذه العلوم لم يبلغ مستواها الذي بلغته مدرسة المعلمين

وظلت حال العلوم البحتة على هذا الى أن جاء عام ١٩٢٥ ، ففي هذا العام أُنست أول جامعة مصرية في القاهرة . ولأنها الوحيدة أسمىها عند ذلك بالجامعة المصرية ، لا جامعة القاهرة ، ولا جامعة قواذ الأول كما تسمى اليوم . وبتأسيسها تأسست أول كلية للعلوم البحتة في مصر الحديثة ، تعمل لأول مرة على غرار مثيلاتها من كليات الجامعات . واحتاجت هذه الكلية للتدريس في أول نشأتها الى العون الاجنبي الكثير . واحتاجت الى أربع سنوات لتُسَـمِرَ أولى الثمرات ، ولتُـخَرِّجَ أول دفعة من الطلاب العلميين . فمن هؤلاء الطلاب يخرج العلماء البحتيون . وبهؤلاء الطلاب يُدار دولا ب البحوث ، وهو الجواز الأول للعالم الى صفة العلم . فاذا نحن قلنا ان البحث العلمي البحت على الاسلوب الحديث لم يبدأ في مصر قبل عام ١٩٣٠ ، أو نحوه لم نعد الصواب . واذا فالعلم البحت ، والبحث البحت في مصر وُلِدَ عِـقْدَ من الزمان أو يزيد قليلاً . فاذا نحن قسناه بمقاييس الرجال وجدناه صبيهاً لم يبلغ الحلم فهذا عن العلوم البحتة . وقد كان في وصف حالها في مصر غناء عن وصف أخواتها من العلوم التطبيقية فالعلوم التطبيقية تُبنى على العلوم البحتة . والدور الأول في البيت ، وفي وصفه غناء عن وصف ما يحمله من أدوار . ومع هذا فلنتناول تلك العلوم التطبيقية هي الأخرى بكلمة قصيرة

فمدارس تلك العلوم سبقت مصر بتأسيسها . فكانت المدارس الثلاث التي ذكرنا ، وهي مدرسة الطب والهندسة والزراعة ، ومدرسة رابعة هي مدرسة الفنون والصنائع ببولاق . فهذا كان كل حظ مصر من هذه العلوم . وجاءت الحرب الماضية ومستوى العلم والتعليم في هذه المدارس حيث نعلم ، فكان وسطاً بين الطموح والقناعة . وكانت هذه المدارس تخرج لحاجات البلد المدنية ، ولحاجاتها العاجلة . فلم تكن تخرج بقصد تكوين علماء ، ولكن بقصد تكوين رجال يقومون تَوّاً بشغل وظائف الحكومة لتطبيب الناس وتسجيل الموتى ، ولري الأرض وإدارة المياه ، ولإدارة الزراعة من بعيد ، ولسدّ حاجات الحكومة الكسنيّة في إداراتها المتعددة . ومن دلائل هذا أنه لم يكن من هؤلاء المتخرجين فضلٌ توجّه إلى العلم التطبيقي نفسه يستزيد من دراسته ، أو أنه لم يكن يوجد في هذه المدارس مكان أو ترتيب أو أساتذة تأذن بدراسات عليا هي المعبر إلى حظيرة العلماء . ومن دلائل هذا أيضاً أن الكثرة الكبرى من المدرسين بهذه المدارس ، ولا سيما مدرسة الطب والهندسة كان أساتذتها أجانب استوردوا استيراداً . ولو كان في البلد بضاعة مصرية من أساتذة مصريين لما كان استيراد . وقد عميل الوطني المصري عند ذكر هذا أن يدفع عن وطنية صادقة فيقول أن قوماً منعوا البضاعة أن تصنع في مصر . وقد يكون هذا حقاً . ولكن هذا تعليل لحال واقعة ، وفي التعليل نفسه اثبات لحال واقعة ، أن البضاعة المصرية لم تكن هنا ، ولو أنه كان في الامكان لاشك إيجادها . وظلت الحال في المدارس التطبيقية على هذا ، حتى فتحت الجامعة المصرية في عام ١٩٢٥ . وفتحتها دخلت فيها مدرسة الطب أولاً ، ثم مدرسة الهندسة ومدرسة الزراعة عام ١٩٣٥ ، وأسميت كليات بعد أن كانت مدارس . وبصيرورة هذه المدارس القديمة كليات ، دخل فيها معنى البحث العلمي . إلا أنه دخل وئيداً فقد كان لا بد من تخرج طوائف من طلبية جدد في هذا الجو الجديد ، وعلى المثل التي أوحاها معنى الجامعة . ولعلّ أسبق هذه الكليات إلى البحث العلمي التطبيقي ، بعد أن ارتدت الرداء الجامعي ، هي كلية الطب . وكلية الطب أقسام عدّة . وإذا نحن ذكرنا البحث اتجهت أبصارنا إلى الجزء المدرسي منها أكثر من اتجاهه إلى المستشفى ، وإلى مدرسة الصيدلة كذلك

وبعد كلية الطب تأتي كلية الهندسة فالزراعة . ولعل السبب في هذا راجع إلى أن الطب كان استتبابه في مصر أقدم من استتباب الهندسة والعلم الزراعي . ولأن العلم الهندسي يتطلب جواً ملؤه الآلات والمكينات والصناعات . وهذا الجو لم يظلل مصر إلا حديثاً . وظللمها رقيقاً . أما العلم الزراعي ، فعلى أن مصر بلد زراعي ، فقد تأخر هو الآخر على غير انتظار . ولعل ذلك لأن كلية الزراعة عند أول نشأتها لم تُعطهم طعماً اجنيدياً كما طعمهم سائر الكليات

ولأن ذوي الأمر في مصر لم يدركوا خطر التعليم الزراعي عند ذاك ، ولم يمنحوه الايمان الكافي ، واطمانوا الى أن أرضاً عتيقة أعطت ثمرها طوال قرون طويلة ماضية ، لا بد أنها معطية أكلها في قرون حاضرة وقرون مستقبلية

على ان العلم التطبيقي وعلماءه صاروا اليوم على حال من التجهز خير مما كانوا عليه حين تكونت الجامعة المصرية منذ خمسة عشر عاماً . وهم على أهبة الوثوب لو فسح لهم مجال يثبوا فيه وقد أنشئت منذ أشهر جامعة فاروق . فهي جامعة مصرية حديثة لا ماضي لها . فقد تكون بذلك أقدر على اقتباس النظم العلمية الجامعية من بدء حياتها . انها خلقت والحرب العالمية على أشدها ، فجهازها من الرجال والعتاد جهاز حرب ، ولكن الأمل في مستقبلها كبير بعد الحرب . وعندئذ ستكون قلعة من قلاع العلم القليلة في مصر — العلم بناحيته البحتة والتطبيقية . فهذه مواطن العلم في مصر . وهذه منازل العلماء فيها

والى هذه المواطن ، والى هذه المنازل ، يجب أن يضيف المستقرى معاهد أخرى ، رجال آخر ، لا تخلع عليهم في العادة في مصر مسوح العلماء . تلك المعاهد العلمية التي انطوت تحت الادارات الحكومية ، فأكسبتها تلك الصلة الادارية الوثيقة نوعاً من التقييد لا يأتلف مع ما يوحيه معنى العلم من الحرية . وزاد هذه المعاهد تقييداً ، انها أنشئت للصيانة أكثر منها للخلق ، أنشئت لاستخدام العلم والفن في الامور الراتبة أكثر منها لاستحداث القريحة العلمية أن تخلق الجديد

ومن هذه المعاهد مصلحة الطبيعيات ، وعملها يتصل من أمور مصر بحياتها وأجواها وأرصادها . ومصلحة الكيمياء ، وعملها يتصل من أشياء مصر بآنتجة صناعاتها . وقسم الكيمياء بوزارة الزراعة وعمله يتصل بحاجات الأرض ومخضبات الزرع . وقسم الكيمياء بوزارة الصحة ، وعمله يتصل بأطعمة مصر وأدويتها . ومن المعاهد الزراعية البحتة ذلك المعهد الذي أسسوه مجلس مباحث القطن ، وعمله في أنسال القطن مشهور . وكذلك قسم البساتين ، وعمله الحدائق ، وما يزرع فيها من شجر ، وما يحصل منها من ثمر . وبوزارة الزراعة أقسام أخرى يتصل عملها بمحاصيل الارض الاخرى ، وبفن وقاية النبات من ضروب الآفات . وكذلك أقسام تعنى بما يدب على ارض الزراعة من حيوان ، واقسام تعنى بما ينتج الحيوان من ألبان . والى جانب هذه المعاهد الزراعية الحكومية مؤسسة علمية عظيمة ، تلك الجمعية الزراعية ، وتقوم بأشتات صالحة من كل ذلك . ومن المعاهد الحكومية ما يتصل بالجيولوجيا ، وفن استنباط ذخائر الارض . وتلك مصلحة المناجم والحاجر

وللطب معاهد حكومية عدّة أكثرها للصيانة . ولعل أشبه معهد فيها بالعلم والعلماء ،

والبحث والبحاث ، معهد فؤاد لبحث الأمراض المتوطنة ، وقد كان يرجى منه خير كثير ، فناله ما نال أمثاله من مناشط العلم من فتور

فهذا استعراض سريع لمعاهد العلم في مصر ، ترون منه أنها معاهد حكومية الآ في القليل النادر . . حتى الجامعتان المصريتان حكوميتا الدخل ، حكوميتا الرقابة

فان سألتوني كيف حال هذه المعاهد العلمية المصرية في القرن العشرين قلت لكم هي من حال الحكومة المصرية في القرن العشرين ، والحكومة المصرية في القرن العشرين لم تنعم بفترة استقرار طويلة قط . والحكومة كالكائن الحي ، أول همه الحياة . وحياة الحكومات في مصر كان عمادها على الأكثر سياسياً . وسياسة مصر كانت مضطربة دائماً ، ورياحها كانت هوجاً . فكان على الحكومة التي تريد العيش ان تصلح قلعها وتصفح حتى تمتلئ أشرعها بالريح الشديدة لتفتح الطريق لسفينتها في بحر من السياسة أمواجه عاتية ، وتياراته قوية متعارضة ، خافها شر من باديها

طغت السياسة على الحكومات المصرية فاستغرقت أكثر وقتها ، واستنفدت أكثر جهدها . والقليل الذي بقي من جهد ووقت ، بدأت حديثاً تنفقه الحكومات في أمور البلد الاقتصادية وأموره الاجتماعية . أما الأمور العلمية فأخر ما تعنى به الحكومات . لأن العلم أعقد الأمور فهماً . وأبعد الأفهام عن فهم العلم فهم الحكومات . وهذا في مصر وفي غير مصر . أو ان شئت قلت ان هذا الجمود العلمي طور من أطوار الحكومات الناشئة ، لا بد من تجاوزه قبل البلوغ

من أجل هذا أحسب ان العلم القليل الذي نشأ في مصر ، انما نشأ شيطانياً ، بفعل أفراد وبحكم المصادفات ، أكثر من نشأته بحكم تفكير سابق وتدبير شامل . ومن أجل هذا تجد العلم والعلماء ، وهم قلة قليلة لا تكاد تعرف أين هي من سواد الناس ، كالشيء الممزق المشتت تذروه الريح هنا وهنا ، او هم كالسائمة في المرعى الوحشي ، تظل عمرها سائمة ، فلا يربطها نظام ولا يجمعها منزل . فالعلم والعلماء في مصر اليوم أفراد متفرقون ، يعمل كل لحسابه ، أو ينام كل على حسابه . وهم في المنام واليقظة ليس فيهم غناء يرضي امل فرد ، دعك من امل امة ، حتى امة ناشئة متواضعة الأطماع . ان قوة كل شيء في التجمع والتجمهر ، كان هذا الشيء سياسياً او حزبياً ، او اقتصادياً او اجتماعياً . وكذلك حاله ان كان علمياً . ولغياب هذا التجمع والتجمهر والتحزب في العلم ، وبين العلماء ، ضعف العلم في مصر ، وقل انتاج العلماء ، وقل تبعاً لذلك خطرهم لقيت وزيراً سابقاً في حفل . وفي الحديث جرى ذكر ابن له . قال وأين عرفته . قلت كان استاذاً معي في كلية العلوم . قال : أنت خوجه اذا ؟ قلت نعم ! « للبحث تنمة »

شاعر الحب والفوات

ذو الرَّمَّة

محمود محمد شاكر

— ٢ —

« هذا والله ملهم ! وما علم بدوي بدقائق الفطنة
وذخائر العقل المعدة لذوي الألباب ؟ لله بلاد هذا
الغلام ! ما أحسن قوله ، وما أجود وصفه ! »

الكميت بن زيد الاسدي الشاعر

غلامٌ يقيمُ عبقرِيَّ الطبيعة ، مشتعل العقل ، ثارُ العاطفة ، نابض الأعصاب ، لطيف
الحس ، ذكي القلب ، وَرَعُ النفس ، جِيَّاش الخيال : يرى ، أو يسمع ، أو يتوهم ، فيبهتر
كيانه من أعماقه هزة خاطفة ، كأنه قوسٌ موترة يذبضها مشبوح الذراعين شديد النَّزَع .
بعث اليشم في دمه حرارة التحفُّز ، وسعَّس في روحه ضرام الحياة المتهمة ، وسلبه مسكينة
القلب الغرير الناشيء ، فهو أبدأ جافلٌ متفزع ، كأنما يعارضه — حيثما توجه — شبح
يتخيل له في صور ترَّوعه وتَهْوُلُه

ويقوم على تنقيف هذا الغلام اليتيم وتهذيبه ، رجلٌ من عقلاء الرجال ، وشاعرٌ مقلٌّ
من شعراء بني عدي بن عبد مناة ، ثم هو أخوه الأكبر : « هشام بن عقبة » . يشفق هشام
على يتيمة « غيلان » ، فيحوطه بقلبٍ متودِّدٍ ، ويعطف عليه بنفس صادقة ، فتشد قوى
الود بين الغلام اليتيم وأخيه الذي يربِّيه ، وبذلك يكسب « الطفل » من عقل « الرجل »
وذكائه وصدقه ، عقلاً وذكاءً وصدقاً ، حتى تنشق طفولته عن رجولة مبكرة . ولا يزال
الغلام ينشأ في سر البادية العربية الخالدة التي لا تكادُ تتغيَّر ، وفي جو الشعر العربي من
من أقدم عصوره إلى أيام شبابه [في أواخر القرن الأول من الهجرة من سنة ٧٧ — ٩٧] ،
وبين إخوة وأخوال من شعراء البادية ، وبين رواقٍ قد حفظوا شعر قومهم وغير قومهم .
لا يزال الغلام ينمو على الأيام في ذلك كله ، حتى يمشي في بادية قوميه « بني عدي » ، بروح
ثائرة متمرّدة عاتية ، تكافح طغيان البادية لتظفر بأسرارها المكتومة . ينظر ، وفي عينيه تلك
اللمحة الحديدة النافذة التي لا تدع شيئاً إلا تغلغل فيه أو أحاطت به ، لينال الخيال غذاءه

ما يرى . يُصْغِي ، وفي أذنيه تلك الحاسة الدقيقة التي لا تدرُ نعمة إلاّ اختطفها ، ليأخذ
الشعور الرقيق حظه مما يسمع

ويومض في قلب الغلام ذلك الضوء المتلاحق المتدارك الذي يضيء لعينه دنيا جديدة ثم
يخبو ، ليعود فيبحث عنها في الظلام ليَجدها مرة أخرى . هنا ، ثم ههنا ، ثم هناك !!! أين
ضلّت عنه ؟ كيف ذهبت ؟ لماذا اختفت ؟ ما الذي رأى ؟ ويهتز الفتى لليقظة ، يريد أن
يجدها ، ولا بدّ له من أن يجدها . وفي سر البادية العربية الخالدة ، وفي جو الشعر العربي
الخالد ، يدب الفتى اليتيم الصغير بين إخوة وأخوال من الشعراء ، ورواة للشعر يتناشدونه في
أسفارهم تحت هدأة الليل التي تموج فيها النفس الانسانية مَوْجها . يصغي الفتى ويحفظ ،
ويحقق قلبه بين جنبه على نغم حلوٍ حبيب تتردّد أصداؤه في أرجاء روحه ، حين ينقلب
إلى مضجعه . ولا تزال تَرنُّ في أذنيه تلك الأصدااء مع الفجر إذا تنقّس

ولم تزل البادية في عصر هذا الفتى تردّد أنغامها إيقاعاً عجيباً على ألفاظ اللغة ، في شعر
امريء القيس فخل الجاهلية ، وليبد ، وطرفة ، وعنترة ، والأعشى ، والنابعة . ولكن الفتى
يتسمع إلى ذلك الحنين الخفيّ في نغم امريء القيس وطرفة بن العبد . ما هذه القوة المتدفقة
من تحت الألفاظ ، تعطى الحياة فتحي ، لتغلب الدهور الفنية المبيدة للحياة ؟ وما هذه
الصورة المثلثة التي تجبّب البادية إلى قلبه حبّاً لا يئأس ولا يفتر ؟ كيف استطاع هؤلاء
أن ينفذوا في الغامض المتنبس ليعنوه في كلماتهم بيتاً سهلاً يكاد يمشي ويتحرّك ؟ ثم تلتصّف
مسامحه تلك الأنغام الجديدة التي تقدّفها حواضر الحجاز والشام إلى بوادي نجد : عمر بن
أبي ربيعة ، العرجي ، الأحوص ، عبد الله بن قيس الرقيّات !!! هذا الترفّ الجميل الذي
يعبث بالحب ويعبث الحب به . نساء ينفثن على ألسنة هؤلاء سحر الغزل وفتنة الأحاديث .
وينظر الفتى — الذي صهرته البادية ، ثم صاغته ، ثم نفخت فيه — بين هؤلاء ، وبين
امريء القيس وطرفة ومن إليهما من فتيان الجاهلية وفنساكهم وأصحاب اللهو منهم . ولكن
شعر المعاصرين يقبل على قلبه وعقله بغضارته ولينه وترفه ، ثم ينفذ فيهما بسطوته ، سطوة
الجديد المتحكم . يتمنى الفتى أن يرقّ رقة هؤلاء الغزلين ، إن في روحه سرّاً يتحرّك ، إنه
يريد أن يقول . وتتبع عين « الفنان البدوي » أو انس البادية ، كما تبعت عيون الشعراء
المعاصرين أو انس الحاضرة في الشام والحجاز ، ولكنه لا يستطيع أن يقول كالذي قالوا .
إن قلبه لا يزال مغلقاً على قدره الذي سيحين وقد قارب . وتجيئ أمواج الشعر في صدره
لتكون إرهاباً للقدر المجلب عليه من بعيد أو قريب . فيعالج بداوته التي حكته وأنشأته ،
بتقليد الرقة التي يستشعرها من فنّ الشعراء الفتيان المعاصرين ، وينظر إلى ابن أبي ربيعة
الذي فتن نساء عصره ، يريد أن يكون كمثله ترفاً وغزلاً وحديثاً ، وهيئات ! إنه سرّ

البادية العربية ، وابن أبي ربيعة سرُّ الحاضرة العربية ، ولكنه سيقول على نهجه غير متلبث ، إلى أن ينتفض روحه انتفاضتها : شاعرةً مبهنةً متجدنةً على سجيها . فإذا يقول ؟ :

أطاع من يدعو إلى ريق الصبا وأترك من يقلب الصبا لا أوامره
وسرِّب كأمثال المها ، قد رأيتُه «بوهبين» حور الطرف بيض محاجرِه
إذا ما الفتى يوماً رآه ، لم يزل من الوجد كالماشي بداءً يخامره
يرين أبا الشوق ابتساماً كأنه منا البرق في عُرف له جاد ماطرُه (١)
جئت وقد أيقنت أن تستقيد لي وقد طار قلبي من عدوٍّ أحاذره
فقلت : بأهلي ! لا تخف ! إن أهلنا هجوعٌ ، وإن الماء قد نام سامره

فأين البادية ، وأين ابن البادية في هذا الشعر ؟ لقد ضاع ابن البادية ولم يبق له من بداوته إلا قوله : « وإن الماء قد نام سامره » ، فإن أهل الحواضر لا يقولون ذلك ، وإنما هذا كلام الذين ينتجعون الغيث في البوادي ، وينزلون على الماء في الفيافي الطامئة . وأما أهل الحضر فيقولون : « إنَّ الحيَّ قد نام » ، وينسون الماء لقلة افتقارهم إياه في الحاضرة ، أو يقولون كما قال عمر بن أبي ربيعة :

فما رميتها حتى دخلت خفاءً عليها ، وقلبي عند ذاك يروّع (٢)
فقلن حذار العين لما رأيته لها : إن هذا الأمر أمر سيئ
فلما تجلَّى الروع عنهن قلن لي : هلم ! فما عنها لك اليوم مدفع !
فقطلت بمرأى شائق وبمسمع ألا حبذا مرأى هناك ومسمع !

إن فنان البادية يقلد هؤلاء الحضريين ، فهو يطاوع أصحاب اللهو والبطالة ، لا يبالي بمن يلومه وينهاه . وهو يملأ عينيه من جمال الفتيات ، يغازلهن ويحاذهن ليعود إلى داره مترخلاً يتهالك من صبايته بهن . ثم ينتفى فيدعي أنه انفرد بواحدة من بينهن قد تيقن — أو خيل لنفسه أنه يتيقن — أنها أمكنته من نفسها ، وأنها لا بد منقادة له ، فواعدها خفاءً لميعادها على رغبة من أهلها خائفاً فزعاً ، فتجدنه صاحبه بما يسكن روعه . تقدِّيه بأهلها حين يقبل عليها ، ثم تميل عليه فتقول : لا تخف ! ثم تبسم له وتخافت صوتها لتعلمه أن « أهلها هجوع ، وأن الماء قد نام سامره » . فهذا شعر غفل لم يوسم بسمة امرأة بعينها قد فرغت لها نفسه ، وإنما هنَّ النساء : غانيات مطمعات بالحب لاهيات . وهو يتهالك في شعره تهالك « الماشي بداءً يخامره » ، ثم يعود بخيلاء شبابه فيحدث نفسه أن الفتاة خاضعة له ، ثم يحاول أن يتمثل الفرع ليزعم أن الفتاة قالت له وقالت ! ! هذا شعر الغزلين من أهل الحضر ، لا شعر الفتى الذي

(١) عرف السحاب : أعلاه الذي يتدلى منه كعرف الفرس متهدلاً

(٢) رام مكانه يريه : تركه وذاذره

كان - إذ ذاك - يتهياً في داخله ليستوي على ذروة الشعر العربيّ الفنيّ ، حتى ينحسر له شعر العشاق والفنانين من أهل الجاهلية كأمريء القيس ، ويسجد بين يديه شعر المعاصرين كجبرير والفرزدق والأخطل ! إنه إلى اليوم فتى حائرٌ يقلّد ، لم يستول على طريقته

ولم يلبث الفتى أن انقبه من غفلة على صوت جديد ونغم فيّ ساحر : ذلك النغم البدوي الذي يترجم عن حب صاحبه للبادية ، وعن عشقه للابل ، فهو ينعتها نعتاً لم تسمع أذن عربيّ مثله . فخل من شعراء الإسلام المعاصرين ، « عبّاس بن حصين » الذي لقبوه « الراعي » ، و« راعي الأبل » ، لشدة شغفه بالابل وجودة نغمه لها . ويهوي « غيلان » إليه ، ويلزم شعره يرويه ويتبعه ، ثم يصاحب هذا « الراعي الثميري » حتى يكون راويته ويجعله إمامه . ولكن الفتى لم يخلق للابل ولنعتها فيقصّر قلبه عليها . إنه سرّ البادية ، ولن تكون الأبل وحدها هي كلّ همّه من البادية ، ولكن هكذا قدّر له ، فيصحب الراعي ويحبه ويسلك معه المسالك ، ليأخذ عنه دقة العبارة عن غامض النعوت والأوصاف ، وليزداد تأملاً فيما يرى من أسرار البادية ، كتأمل « الراعي » في الأبل التي استخرج غاية أوصافها . ولكن ... إن بين جنبي هذا الفتى قلباً يرتعد قلب محروم ظامئ يبحث عن ريشه . هؤلاء النساء ! أهو يبحث عنهنّ ليلهو بهنّ كما يلهو عمر بن أبي ربيعة وأشباعه ، أم يبحث بينهنّ عن سرّ ضائع يريد أن يجده ؟ أيقول كما قال أولاً وهو يقلّد ابن أبي ربيعة ؟ كلا بل يقول

وبيضاً تهادى بالعشي كأنها غمام الثريا الرائع المتسكّل
خداً لا قذف السور منهنّ والبري على ناعم البرديّ بل هنّ أخذل
قصار الخطى يمشين هوائاً ، كأنه ديب القطا ، بل هنّ في الوعث أوجل
نواعم رخصات كأن حديثها جنى النحل في ماء الصفا متشعّل
رقاق الحواشي ، منصفذات صدورهما وأعجازها ، عما به اللهو ، خذل
أولئك لا يوفين شيئاً وعدنه وعنهنّ لا يصحو الغويّ المعدّل

هذا هو ينقلب إلى بداوته ! إلى رقة البادية العنيفة في رقتها . أجل هنّ النساء أيضاً ، ولكنه لا يتصبّى ولا يتهالك ، بل يصف وهو جليدٌ ، يقول هنّ بيضٌ تهادى ، ثم يصرخ صرخة الظامئ إليهنّ يريد أن يروي منهنّ ما استطاع ، فهنّ الغمام في آخر اليوم يتهلل بالمطر . هكذا رآهنّ جملة أول ما رأى ، ثم تستقرّ أشواقه فيتأمل تلك الأبدان الفاتنة ، فإذا الساعد ريان مملى ، وإذا الساق تامة مستوية لا عضيلة ولا مضطربة ، كأنها ساق البرديّ في نعومته وليته بل هنّ أخذل وأشدّ امتلاءً واستواءً . ثم يراهنّ تتبعنّ نفسه ، فيفارق سورة المشتاق إلى هدأة التأمل ، فيرى خطوهنّ كأنهنّ قَطَا يدبّ على الرمل ، بل هنّ في مشيتهنّ في الرمل اللين السهل أحلى مشية . كأنما يخشين أن ينهال الرمل من

تحتنن . ثم يدنو إليهن فيسمع اللحن الحلو الفاتن الذي يروي من ظمئه ، إنه في نفسه أحسن
برداً من شهد مذاب في أخضر ماء وأبرده وأقناه ، ثم يسكن ظمأه إليهن شيئاً فشيئاً ، فيرى
كلماتهن تنفذ في سر قلبه ، فإذا أراد منهن ، ما كان يجد في كلام ابن أبي ربيعة وأمثاله من
الفتيان اللاهين بالحب ، وجد من حديثهن ، بعد الإطاع ، ما يخذله وينهاه . فتضطرب نفسه من
أعماقها بالأس منهن بعد الأمل ، فيقول :

أولئك لا يوفين شيئاً وعدنه وعنهن لا يصحو الغوي المعدل
فهذا هو البدوي الفنان قد عاد مرة أخرى الى البادية وأنكر لهو الحضر ورقته . ثم
ينطلق بعد ذلك — وقد كسب من « الراعي النيري » دقة التأمل — يصف هذه الأرض
التي تمشي عليها فيقول :

فما أم أولاد تَكُولُ؟ وإنما... تبوء بما في بطنها حين تشكّل
يسائل : ما هي أم أولاد ، ومع ذلك فهي لا تزال تفقدهم ، فإذا فقدتهم امتلات بطنها
بهم كما تمتلئ الحامل ، فينقلها هذا الحمل الجديد . يعني من يموت من الناس
أسرّت جنيناً في جشأ غير خارج فلا هو منتوج ولا هو معجّل
وهذا الذي يموت ، فتخفيه في حشاها ، ويعود بدفنه جنيناً ، لا هو يخرج إلى الدنيا
مرة أخرى مولوداً لوقته ، ولا هي تلقيه سقيطاً معجلاً قبل ميعاد مولده ، بل هو أبداً
جنين مستقرّ لن يرى نور الدنيا ثانية

تموت وتحيا حائل من بناتها ومنهن أخرى عاقرة ، وهي تحمل
ومن بناتها أرضون حوامل ، وحملها هذه القرى ، تكون عامرة تارة وخراباً تارة أخرى ،
فالقرى تحيا إذا كانت عامرة ، وتموت إذا صارت خراباً . ومن بناتها أرض هي البداء ،
وهي عاقرة لا تحمل قرى ، ولكنها تحمل الناس من البداء الذين يسكنونها ويفتجعون مراتعها
تراها أمام الركب في كل منزل ولو طال إيجاف بها وترحل
وهي بساط بعيد مترام لا يتناهي ، فهو أبداً أمام السفر . كلما ساروا وأوغلوا ، لم يستقبلوا
إلا أرضاً ولا شيء إلا الأرض ، فهي

تقطع أعناق الركاب ، ولا ترى على السبيل إلا صليداً ما تزيّل
إذ كل من أراد قطعها شقبي في طيها حتى تكاد أعناق ركابه تنقطع ، وهي هي لا تنتهي
حتى يخيل إليك أنك لم ترحل فيها عن مكانك ، فكانك ركبت من هذه الأرض راحلة شاقة
صلبة لا تفارق مكانها

ولو جعل الكسور العلاء في فوقها وراكبه أعيت به ما تحلحل
فلو وضع الرحل فوق هذه الراحلة ، أي الأرض ، ثم علاه الراكب ، لابت ولم تتحرك

من مكانها . ومع ذلك فإن راكبها لو أراد أن تتحرك به فإنه يرى الموت إن قامت ، وإن بركت به يرى موته عن ظهرها حين ينزل فإن الأرض إذا همت براكبها وارتفعت عن مكانها فذلك نذير بفناء الكون وقيام القيامة ، وإن ثبتت به لا تتحرك فإنه يرى ويستيقن أن ساعة موته قد دنت لينزل عن ظهرها . وهذه هي الأرض الفنية الحية التي وصفها فلما قارن بينها وبين الراحلة التي تُركب لتقطع عليها مسافة الرحلة ، أتى بالدليل على ذلك وهو : أنها

تُرى ولها ظهرٌ ، وبطنٌ ، وذروةٌ ، وتشرب من برد الشراب وتأكل فالبطن جوفها الذي يغيب فيه كل شيء وكل حي إذا فارق الحياة الظاهرة ، وظهرها جلدها من الثرى والرمال ، وذروتها وسنامها هذه الجبال ، وإنها — أيضاً — لتشرب ماء الأمطار إذا نزلت عليها ، وتأكل كل ما يلج في بطنها من شيء

فهذه الآيات في صفة الأرض ، وهذا الخيال الذي توهمها ، هو خيال الفتى المتأمل الذي بدأ يقف على مكان الأسرار ، لينفذ إليها ، ويكشف عنها ببصيرة الشاعر الفنان المصور . وفيها مسخرية الضجر من الحياة التي لا معنى لها إلا الاجتهاد الذي لا ينتهي ، وفيها قوة « ابن البادية » الذي يستطيع أن يلم شعث الأشياء المتفرقة ليستفيد من النظر إليها ، ثم يلقيها ساخرًا مستخفًا لا يبالي . فما أم أولاد نكول . . . إلا مطية لها « ظهرٌ ، وبطنٌ ، وذروةٌ ، وتشرب من برد الشراب وتأكل » ، فصيورها مصير كل مطية ، هو الموت ، هو إقبال الفناء بالهدم والتدمير ، فمن وثق بالبقاء عليها وهي فانية فقد جهل وضل

ثم لا يزال الفتى ، في أشواقه وتأمله ، يقطع البیداء في الرحلة بين الديار والقبائل ، في صحراء فاتنة ساحرة ، وموامة مخوفة مهولة

ومهمه دوية منسكال تقمست أعلامها في الآل
كما اعتصمت ذرى الجبال بالقز والإبريمر الهلحال
في كل لماع بعيد الجبال تسمع في تيهائه الأفلال
عن اليمين وعن الشمال فنسين من هاهم الأغوال (١)

ويرى بقر الوحش ، والثيران ، والظباء ، والنعام ، والقطا ، والجندب ، والحرابي ، والغراب ، والذئب ، فيرى ويسمع وينصت ويتأمل ، وتستجيش نفسه إليها صوراً من خياله القوي العنيف ، فترك البادية وسَمَّها عليه ، ذلك الوسم الذي لا يفارق من وسمته به .

(١) المزمع : الفلاة . الدوية : تسمع لها دويًا خللاً . وتقمست : تفوص ثم ترتفع . والآل : السراب والاعلام : الجبال . واللماع السراب اللامع ، بعيد الجبال ، بعيد الجوانب لا شاطئ له . والتهباء : التي بناه فيها . والأفلال : التي لا يصيبها المطر . والأغوال جمع غول

ولكنه على ذلك حائر لم يجد دنياه التي رآها أول ما أومض في قلبه ذلك الضوء المتدارك الذي لم يلبث أن خفت . إنه يبحث عنها في كل وجه . ويطول بحثه وفكره ، وتهباً نفسه مستعدة للتلقى أعظم استعداد ، إنها نفس دقيقة حساسة لا تتبلد وجاءَ القدر ، فيخرج الفتى هو وأخوه «مسعود» وابن عمه «أوفى» ، في يسغاه إبل ضلت لهم ، ويدخل على «مي» وهي تتغشى ^(١) . ذلك الصوت الذي يتحدث من سمعه إلى قلبه فيرسل فيه قشعريرة الإفاقة من إغماء طويل كان فيه هذا القلب . إن ألمانها قد أضاعت فيه نبزاً من النغم لن تزيده أحاسير الحياة إلا اثتلاً وضياءً . ذلك الحديث بينها وبينه — وهي تصب له الماء في قربته — سيزيد على مر الأيام جدّة في حقيقة روحه . أيّ تعبير في الحياة كلها عن الفن والجمال هو أروع من هذا المنطق الرخيم ، تقتر عنه ثنائياها كما يفتّر الفجر عن صباحه ؟ أيّ فتنة في هذه الدنيا هي أنبل من حرّ هذا الوجه الأسيل الخروط المسنون الذي صقلته أسحار البادية وآصالها ؟ أيّ لذة في هذا الوجود هي أمتع من هذا الجيد المتمرد على جسد أهيف أملود يتحدث كل قوة في كل جمال ؟ أيّ متاع في هذا العالم هو أغنى من هذا الشعر الجليل الأثيث المتموج على متنها ، ينادي كل عاطفة لتضل في دياجيه الساحرة ؟ أيّ دنيا هي أعمق أسراراً من هاتين العينين الصافيتين تسبح في صفائهما الروح إلى الغاية التي ترى ولا تدرك ؟

وينصرف الفتى من لقاءها ، وفي سمعه نغماتها ، وفي عينيه صورتها ، وفي قلبه هواها ، وفي روحه لذة خالدة زداد على الأيام عشقاً ونفاذاً . فلئن أشقاه الحرمان بالرحيل ، فليشد ما أسعده أن وجدها . فهو بين اللذة والألم يتردد ، ولكنه في شجنو يطرب كما يحزنه ، ينال بأثره في قلبه فرحة وجودها . لقد تزود منها نظرة وابتهامة وحديناً . أنسته النساء وما فيهن ، وصرفته إلى طيف يُلم به في مضجعه ، ويعارضه في طريقه . يناديه إذا خلا ، فيأتيه جواب دعائه من أعماقه ... صوتها ، ألمانها ، عينها ، كل شيء رآه منها أو سمعه يستجيب له . ولكن القدر يعدّه ليتلقى من «مي» ما هو أعظم من الفرح بحبها ووجدانها ، فيتركه ينطوي عليها ، ويتسلل بها في خلوتها فرحاً أن يزورها من عامه في ديار أهلها كما زارها من قبل . فيرجع إلى ديار بني منقر ، لعامه هذا ، فيجد القوم قد ارتحلوا عن منازلهم «بالوحيد» ، فيقف على ديارها يسأل نفسه عن مي وأهلها ، وكذلك يعرف الفتى منذ اليوم ما معنى الوقوف على الديار ، وما لذة مساءلة الأطلال ، يعرفها تجربة في قلبه ، لا معرفة من شعر من سبقه . فإذا عاد إلى دياره — مؤملاً أن يعود إلى «مي» — فرحاً بما عرف من لذة الوقوف على أطلالها — قال :

«هل تعرفُ المنزلَ «بالوحيد» قَفَرًا حَاحَ أَبَدُ الأبيدِ؟»

«والدهرُ يُبْنِي جِدَّةَ الجديدِ!!»

فإِذَا أُنْتَمَّ تسأوله ، وعرف لذة ما كان فيه من موقفه هناك ، أجاب نفسه فقال :

« نعم ! فأنتَ اليومَ كالعمود من الهوى أو شَبَبَةُ المورودِ »

يجيب نفسه مختالاً : نعم ، ثم يصرف القول كأنه يخاطب آخر غيره فيقول له متعجباً :

نعم : لقد عرفت ، فأنت في يومك هذا كالمرِيض الذي هَدَّه المرض فهو يُسْنَد من جوانبه

ليستوي ، أو مثل المحموم الذي وردته حُمَّى نافض ، فتلك الحمى هي ما وجدت في روحك

من قَشَعَريرة الشوق والذكرى . ثم يصرخ يناديها

« يامي ! ذات المبسم البُرودِ بعد الرقاد ، والحشا الخضورِ »

« والمقلتين وبياض الجيدِ »

ولكنه يعود فيذكر حديثها إذ قالت له — وهي تصب الماء في قربة — تلومه على ارتكاب

السفر ، وهو صغير حديث السن ، فيقول : يامي !

« أهلكتنا باليوم والتفنيذِ »

أهلكتنا ! ! عجيب هذا الفتى البدوي كيف يرق ويقسو ، ولكنه يعود فيعتذر لنفسه عن

ملامتها وتفنيدها . مسكين ! إنه يخاف عليها حتى في خلوته وشعره ، فيقول : هذا عذرها ، إنها

« رأت شُحوبي ، ورأت تخديدي من مُجْجَفَاتِ زمنٍ مرَّيدِ »

« نقَّحَنَ جسمي عن نُضارِ العودِ بعد اهتزاز الغصن الأملودِ »

ثم يعود فيقول : كيف أعذر لها ؟ إنها رأت هواي لها فصَدَّت عني ، فيقول لها :

« لا ! بل قطعتِ الوصل بالصدودِ »

ألم يكن ذلك كذلك ؟ وإلا فلم

« قد عجبت أخت بني لبيد وهربتُ مني ومن مسعودِ »

وإذن فهو الصدود والإعراض بعد الوصل . أجل ! إنها أيضاً تخاف أن يكون بيني

وبينها هووى غالب ، ويُسِنَّ ذلك أنه لا يمكن أن يكون سرُّ صدودها أنها

« رأت غلامي سفرَ بعيد يدَّرعان الليل ذا السدودِ »

« مثل ادِّراع السِّلْمَقِ الجديدِ »

كما تدعي ، فإن هذا أمرٌ لا يوجب دهشةً ولوماً وتفنيداً ، وإذن فهو الصدود ، هو

الصدود يامي ! ! ويبئت يمتني النفس بغدٍ يراها فيه ، فهو يتهيباً لها ، ويزور الأحاديث في

نفسه للقائها ، ويومئذ تجد صدودها وإعراضها قد انقلب شوقاً وصباة وإقبالاً على فتاها !

هكذا كان يقول ويقدر ، والقدر من وراء الحجب يقول : على رسلك أيها المغرور ! !

الفلاح

يستشير العالم الطبيعي

ليس في وسع أحد ان ينكر ما أسداه علماء الكيمياء والبيولوجيا الى الزراعة من أيدٍ
بيض . ولكن نواحي متعددة من البحث العلمي الحديث تشير الى ان الأوان آن لاستعانة
الزراع بعلماء الطبيعة الحديثة على حل مشكلاتهم

فالزراعة وهي اكبر أعمال الانسان وأوسعها نطاقاً وأهمها شأنًا لا تزال عند المقابلة
بغيرها من شؤون العمران ، في الدور الذي كانت فيه المواصلات البحرية تعتمد على السفن
الشراعية بالمقابلة مع السفن الحديثة وطائرات النقل الضخمة . ان معيشة التي مليون من
الناس مرتبطة بنتاج الأرض ورزق ثلثيهم يعتمد على العمل فيها . ولكن الزراعة بوجه عام
لا تزال متقهقرة بالقياس الى ما أصاب الصناعات المختلفة من تقدم . فقدان يدر ستة عشر
جنيهاً في السنة يعدّ كنزاً من الذهب وأما الدخل المتوسط فقد لا يزيد على ثلاثة جنيهاً .
وأدهى من ذلك ، ان الفلاح قد يقضي ساعات متعددة كل يوم هو وأفراد أسرته في عمل
شاق ، وبعد ما تتعرض زراعته للعصاير والسيول والرياح والجفاف والآفات ، تبقى له غلة
ما ، فيقال له ان موقها انهارت لشدة اقبال المحصولات ، مع ان هناك ألوفاً ومئات الألوف
من الناس يتضورون جوعاً ويبيتون على الطوى !

ولعلّ التأخر في الاعتماد على الأساليب العلمية الحديثة في ارتقاء الزراعة مردّه الى
ان الحاجات الزراعية لا تزال تعدّ هبةً من هبات الطبيعة للانسان . ولكن أقلّ الأساليب
نفقة ليس أفضلها ولا أنفعها . فالرياح تهبّ حرّة فوق البحار وليس على المرء أن يدفع
إتاوةً لأحد اذا شاء استعمالها في دفع سفينته الشراعية . ومع ذلك يفضل التجار اتفاق
ألوف من الجنيهاً في تجهيز سفينة بمحرك يديره النفط أو الفحم بدلاً من اتفاق بضع مئات
لتجهيزها بأشعة وتركها لرحمة الرياح

ومن الحقائق المعروفة الآن ان نموّ النبات يحتاج الى أربعة أمور لا غنى عنها وهي الضوء
والهواء والماء ومقادير يسيرة من بعض العناصر والمواد الكيميائية . فالنبات يأخذ من

الهواء أهم المواد التي يحتاج إليها في نموه . ولما كانت التفاعلات الكيميائية في خلاياه لا تتم إلا والمواد المتفاعلة محمولة ، فهو يحتاج الى الماء فيأخذه من الأرض ويأخذ معه بعض المواد المذابة فيه ، ثم هو يحتاج الى الضوء فيجهزه بالطاقة اللازمة لفعل التركيب الضوئي بوساطة حبات اليخضور (كلوروفيل)

والكيميائي لا يتدخل حتى الآن في نمو النبات وتركيب المواد النشوية والسكرية ، إلا عندما يجهز النبات ببعض العناصر التي يحتاج إليها النبات ، بإضافتها الى الأرض سماداً طبيعياً أو كيميائياً . ولكن مشكلات الزراعة ، اذا صرفنا النظر عن موضوع خصب التربة وموضوع الآفات والوقاية منها ، هي مشكلات تمت بصلة وثيقة الى علم الطبيعة وفروعه ، وفي مقدمتها السيطرة على الحرارة والضوء وتأثيرهما في النمو والاثمار ، وغير ذلك

ولنضرب على ذلك مثلاً بسيطاً . ولنفرض انك تبغي أن تفوز بكرز غصّ في بلد ما في غير أوانه ، كشهر فبراير مثلاً . ففي سبيل تحقيق بغيتك عليك أن تعتمد على إحدى وسائل ثلاث . فاما أن تنقله من بلد يكون الكرز فيها ناضجاً في فبراير كاستراليا والارجنتين . وهذا يقتضي تحسين المواصلات لتقصير المسافة وسرعة النقل واتقاناً في وسائل حفظه حتى يتم نقله فلا يتهرأ ويفسد . واما أن ينجى الكرز حيث يجود شجره ويحفظ بطريقة من طرائق حفظ الفواكه حتى شهر فبراير . واما أن تعالج شجر الكرز بطريقة علمية تجعل ثمره ينضج في فبراير لأن الجو الذي يحيط به في فبراير وقبله ، كالجو الذي يحيط به عند أوان نضجه المألوف . وهذه الوسائل تتقدم تقدماً حثيثاً بفعل الارتقاء الصحي والعمراني ، ويعتمد عليها مجتمعة

ثم ان الفلاح الحديث ، شديد الحاجة الى توفير طاقة محركة رخيصة له تمكنه من انتاج محصول يستطيع ان يبيعه بسعر وافٍ وربح معقول . وقد تنبّهت بعض البلدان الى هذه الحقيقة فوفرت الطاقة الكهربائية للفلاح في حدود استطاعتها ، او بدأت تفعل ذلك . ففي سويسرا ٩٨ في المائة من مزارعها مجهزة بالطاقة الكهربائية ، وفي السويد ٥٠ في المائة . وفي انكلترا تستعمل الطاقة الكهربائية في المزارع في ستين غرضاً منوعاً . وكانت هولاندة قبل نشوب الحرب قد أخذت تنصرف عن استعمال الطاقة التي تولدها الطواحين الهوائية الى استعمال المحركات الكهربائية ، وباستعمال هذه الطاقة تمكن الزراع الهولنديون عن الاستغناء عن قلب الرياح وأحوال الجو فأخذوا ينتجون الخضار والازهار المطلوبة في السوق البريطانية في المواعيد المبكرة التي تطلب فيها ويشند الطلب . فكادوا يهتكرون هذه السوق لقربهم منها بعدما كان الشأن الأكبر فيها لاطاليا من هذه الناحية

وهناك في بحوث الطبيعة المتصلة بالزراعة، ناحية طريفة تسترعي الاهتمام والاعجاب . وهي ناحية الاعتماد على الضوء الصناعي في استعمال نضوج الازهار والاثمار او تأخيرها ، وهي من أفعال الاساليب الزراعية التي أسفر عنها البحث الطبيعي الزراعي الحديث . وانما يجب ان نقول ان الضوء الصناعي لا يغني عن ضوء الشمس بل هو يكمله وينوع تأثيره وذلك لسبب واضح وهو ان الاعتياض بالضوء الصناعي من ضوء الشمس المباح بغير ثمن ، عمل كبير النفقة ولا قبل للزراع بها . فاذا شئنا ان تولد ضوءاً كهربياً محل محل ما يقع من ضوء الشمس على ذراع مربعة من سطح الارض ، كلفنا ذلك الضوء ستة مليات في الساعة أو اكثر أو أقل بحسب البلد . وهذا يعني اننا اذا شئنا ان نعتاض من ضوء الشمس بمصباح او مصابيح كهربية في بستان مساحته فدان ، كلف ذلك عشرين جنيناً في اليوم . ولذلك يكون جل الاعتماد على الضوء الصناعي في أحوال معينة ولاغراض خاصة

واستعمال نضوج الازهار في طبيعة الأغراض التي يستعمل لها الضوء الصناعي في بعض البلدان . فاذا كان زهر من الازهار لا يبلغ أوج إزهاره الا في أواخر يناير ، وكان الناس يرغبون فيه رغبة خاصة لتزيين الدور في مواسم معينة تسبق موعد الإزهار اسبوعاً أو أسابيع ، فاستعمال الضوء الصناعي استعمالاً صحيحاً يجعل تبكيره في حيز المستطاع . فالزنبق يمكن تبكيره شهراً كاملاً وزهر البسلة Sweet Pea خمسة اسابيع . وأغرب من ذلك ان ضرباً من ضروب البرسيم لا يشرع في الإزهار قبل سنتين ولكن علماء معهد بوليس طمسن — وهو معهد قائم في ولاية نيويورك — تمكنوا من ابلاغه مرتبة الازهار في ثلاثة أشهر وذلك باستعمال الضوء الصناعي . والظاهر ان تبكير الازهار بالضوء خير من تبكيره بأساليب أخرى لان التبكير باستعمال الضوء الصناعي لا يصحبه تغير ما في اللون او الشدا في الازهار ولا في اللون او الطعم في الاثمار

والنباتات من حيث تأثرها بالضوء اصناف . فمنها ما يزكو اذا طالت مدة تعرضه للشمس في يوم واحد ومنها ما يزكو اذا قصرت مدة التعرض . « فالكريزانثم » الذي يتفتح قبل ميعاد الطلب عليه في سوق الازهار ، يمكن تأخير نموه وابطاء إزهاره بتعريضه مدة طويلة للضوء . فاذا كان ضوء الشمس محجوباً عرض لضوء المصباح الكهربائي . وقد استخرج الباحثون في هذه الناحية من تأثير الضوء في النبات حكماً عاماً مؤداه ان النباتات التي زهر في الصيف تؤثر طول التعرض للضوء ، والتي زهر في الربيع والخريف تفضل الاعتدال في أمد التعرض ، والتي تظهر على مدار السنة تفضل قليلاً من الظل يتخلل التعرض للضوء . واستعمال الضوء استعمالاً محكماً يجعل الازهار والاثمار أزهي وأنضر مما تكون عادة

وهناك ناحية أخرى من هذا الموضوع الحافل بالعجائب ، أدعى الى العجب والاعجاب . فقد يستعمل الضوء المصفى ، أي الضوء الذي حجب طائفة من أشعته بمصفاة لونية . ومن النبات ما تؤذيه أمواج الحرارة في الصيف . وقد يكون كشف هاتين الحقيقتين باعثاً على انشاء مستنبات خاصة لها كوى خاصة من الزجاج او مادة شفافة أخرى فيحجبها البستاني من الطيف ما يشاء وفقاً لحاجة النبات في الداخل . وكأن الطبيعة عرفت ان الألوان المختلفة في ضوء الشمس لا تؤثر تأثيراً متساوياً في انماء النبات فجعل ورق النبات أخضر الى الزرقة . وقد غني العلماء بدراسة قدرة اليخضور على امتصاص أشعة الضوء وقابلوا بين امتصاص الأوراق الحية والأوراق الذابية مستعينين على ذلك بالمطياف فوجدوا ان أكثر الاشعة التي يمتصها النبات ويستخدمها هي الاشعة الحمراء

وأرادوا تطبيق هذه المعارف فأخذوا فسائل من نبات واحد وغرسوها في أحوال مماثلة كل التماثل إلا في لون الاشعة التي تتعرض لها ، فواحدة غمرت بضوء أزرق وأخرى بضوء أحمر وأخرى بأشعة ما دون الأحمر وأخرى بأشعة ما فوق البنفسجي فوجدوا أولاً ان نباتات مختلفة متباينة في سلم الارتقاء العضوي تستجيب جميعاً لتأثير اختلاف الضوء . ووجدوا كذلك ان الضوء الأصفر من مصباح متوهج يفوق تأثيره في نمو النباتات تأثير الضوء الأزرق من المصباح نفسه خمسين في المائة . وان الضوء الأصفر من مصباح بخار الصوديوم يؤثر في النمو تأثيراً يفوق تأثير الضوء الأزرق من مصباح الزئبق مرتين . حتى لبدو للباحثين ان الضوء الأزرق الصافي يعيق حالة النمو وان أشعة ما فوق البنفسجي تؤذي خلايا النبات . ومن المشاهدات التي لم يعرف لها تفسير مقبول قبل كشف هذه الحقيقة ان نباتاً معيناً يزكو في الأودية ولكنه يوجد ضعيفاً على منحدرات الجبال العالية . وتفسير ذلك ان أشعة ما فوق البنفسجي قوية على منحدرات الجبال العالية لأن الهواء أنقى ولا يحجبها الغبار أو يمتصها ، حالة انها أقل في الأودية لأن الهواء وما فيه يمتصها . وقد أخذ نبات من هذا القبيل من منحدرات الجبال السويسرية وزرع في الأودية فزكا ثم أخذ الى مستنبت وغمر بأشعة ما فوق البنفسجي فضر

وقد يستغرب القارئ أن يكون للمطياف شأن كبير في الزراعة . ولكن لا محل للاستغراب . ففي بعض أنواع التربة تشتد الحاجة أحياناً الى مقادير يسيرة من بعض العناصر . فيصاب النبات بمرض . ومثال ذلك عنصر البورون . مع ان المقدار الذي يحتاج اليه النبات من هذا العنصر قليل جداً ولا يقاس إلا بأجزاء من الغرام . وفي بعض الحقول في غربي الولايات المتحدة نبات قاسٍ يؤثر في الحيوانات التي ترعاه فيسممها . وقد ثبت بالبحث

ان هذه التربة يعوزها الكبريت ويكثر فيها السلينيوم . وذرات العنصرين متشابهة من الناحية الكيميائية . ومع ان النبات يستطيع التفريق بين ذرات العنصرين إلا أنه لا يمتنع عن امتصاص السلينيوم عندما لا يجد كفايته من الكبريت . والسلينيوم ضار بالحيوانات . فاذا شئت ان تعرف المقدار النسبي من هذين العنصرين في تربة حقلك واعتمدت على اساليب الحل الكيميائي العادية استغرق ذلك وقتاً طويلاً ونفقة كبيرة . ولكن المطياف يحل المشكلة في أقصر وقت وبغير نفقة تذكر . وعلى ذكر العناصر التي يحتاج النبات الى مقادير يسيرة منها كي ينمو نمواً سوياً نورد الحقائق التالية :

تقدم العلم في ربع القرن الاخير تقدماً عظيماً في معرفة الفيتامينات وغيرها من عوامل التغذية الاساسية في الانسان . ولكن قليلاً من الناس يعلم ان النبات كثيراً ما يشكو سوء التغذية كما يشكوها الانسان وانه في حاجة الى مقادير يسيرة جداً من مواد معينة متنوعة لكي يستقيم نموه السوي . وفي هذا الميدان تقدم العلم تقدماً عظيماً كذلك . فقد انقضت الايام التي كان يظن فيها ان النتروجين والفوسفات وغيرهما من مواد التسميد المعروفة هي كل ما يحتاج اليه النبات من غذاء

فقد أثبت البحث في السنوات الاخيرة ان نمو النبات نمواً سوياً يحتاج الى طائفة كبيرة من العناصر الكيميائية وان ما يحتاج اليه منها يسير جداً على الغالب فالنبات المعروف باسم « لوسيرن » وهو البرسيم الحجازي يصفر ويضعف نموه ولا يصلح تماماً علماً للحيوان اذا أعوزه عنصر البورون . واذا كان التراب الذي ينمو فيه لا يحتوي على يسير من البورون فالتسميد المألوف لا يجدي كثيراً في اصلاح شأنه . ونبات الطماطم كذلك يحتاج الى البورون فاذا لم يتح له غذا طعماً لا يستطيع الانسان

في العهد الماضي كان يظن ان النحاس والزنك من العناصر التي تعد سامة بالقياس الى النبات ولكنها تعد الآن من العناصر التي لا غنى عنها في نموه . والمقادير اللازمة من هذين العنصرين صغيرة جداً والرجح ان كل تربة تحتوي عليها . ولكن في قارة استراليا مناطق فسيحة مرد أكثر تربتها الى ما كان قبلاً مغطى بمياه البحر فالحبوب التي تزرع فيها لا تعقد حباً إلا اذا أضيفت كبريتات النحاس الى التراب . والحاجة لا تزيد على بضعة جرامات من كبريتات النحاس لكل هكتار من الارض . ويلوح ان هذه الانواع من النباتات تحتاج الى هذه المقادير المجهرية أو الطيفية تقريباً من النحاس لكي يتم نمو أعضائها التناسلية فيستطيع زهرها حينئذ أن ينعقد حباً . فاذا لم يتح لها النحاس إما بطبيعة الارض وإما عن طريق التسميد كانت الغلة قشياً

مذهب الرواقيين

عند الرواقيين

لعثمان امين
مدرس الفلسفة بكلية الآداب

١ — ﴿ التعريف بالرواقية ﴾ : « الرواقية » لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية الكبيرة التي انشأها زينون الكتيومي بمدينة اثينا ببلاد اليونان اوائل القرن الثالث قبل الميلاد ويدعى انصار تلك المدرسة بالرواقيين أو « أصحاب الرواق » أو « اهل المظال » نسبة الى الرواق المنقوش (المسمى باليونانية « ستووا پويكيلى ») ، وكانت تلقى فيه المحاضرات الفلسفية في ذلك العهد

فالمدرسة الرواقية القديمة مدرسة قامت بعد أيام ارسطو ، وهي معاصرة لمدرسة « ابيقور » . وترجع نشأة المدرسة اذن الى اوائل العصر الموسوم بالعصر الاسكندراني ، وهو ذلك العصر الذي ازدهرت فيه الثقافة بمدينة الاسكندرية حين طبقت شهرة تلك المدينة الجامعية المصرية ونفوذها آفاق العالم القديم

وقد اتصف ذلك العصر الاسكندراني بخصائص قد نجد كثيراً منها في المذهب الرواقي نفسه : وأهم هذه الخصائص ميل الناس الى الاستكثار من المعارف ، وسعة الاطلاع وغلبة الاهتمام بالشئون العملية على الشئون النظرية المحض ، وتسلبت الانظار الدينية والاخلاقية على الانظار العقلية والعلمية

٢ — ﴿ خصائص الرواقية ﴾ : والرواقية ليست مذهباً فلسفياً خصب ، بل هي كذلك وقبل كل شيء أخلاق ودين . ولعل أظهر طابع يميز الرواقية هو نزعتها العملية الارادية التي جعلتها تطرح المذهب المثالي اطاراً دون تردد أو احجام : فالمثل والكليات ليس لها عند الرواقيين حقيقة خارجية ، فليست موجودة خارج الاشياء — كحالها عند افلاطون — ولا هي موجودة في الاشياء — كحالها عند ارسطو . انما المثل والصور عندهم مجردات لا يقابلها شيء في عالم الواقع

والرواقية وان كانت قد قامت على أرض يونانية ، الا أننا لا نستطيع ان نعدّها من ثمار

الفكر اليوناني وحده ، بل أخرى أن تكون فلسفتها ثمرة للاتصال الثقافي بين الشرق والغرب ، ذلك الاتصال المشهور الذي نشأ على أثر فتوحات الاسكندر الاكبر . اضيف الى هذا ان أغلب أنصار الرواقية هم من الشرقيين أو يرجع أصلهم الى أقطار ومدن شرقية كقبرص وصيداء

٣ — ﴿ مقام الرواقين ﴾ : وللرواقين في تاريخ الفلسفة شأن خلاق ألا يستهان به .

ولقد استطاع بعض الباحثين المحدثين أن يوازن بين أثرهم في أفكار الانسانية وبين أثر أرسطو والمشائين . ونحن من جانبنا نقر تلك الموازنة ، ونعتقد أنه لا ضرر على الرواقين منها ، إذ أن منزلتهم في تاريخ الفكر منزلة وطيدة . بل انهم قد يزاحمون جماعة المشائين ، فيكادون يسودونهم في بعض المسائل ذات الخطر . قال رُدِّييه وهو حجة في هذه البحوث : (اذا كان أرسطو يعدُّ « المعلم الاول » — كما قيل — فإن أكبر أثره لا يكاد يعدو مجال المنطق والفلسفة النظرية . أما من ناحية الاخلاق والفلسفة العملية بوجه عام ، فيحق القول بأن الانسانية المفكرة انما عاشت على المذهب الرواقي حتى أدركت المسيحية ولبثت تتغذى منه بعدها حقبة طويلة من الزمان) . وكتب ماهافي : (ينبغي أن يبين للملأ ان أعظم تراث عملي خلقه اليونان في الفلسفة لم يكن نخامة ميتافيزيقا أفلاطون ، ولا سعة علم أرسطو ، بل نجده في المذهبين العمليين مذهبي « زينون » و « أبيقور » كما نجده في تشكك « بيرثون » . فكل رجل في وقتنا الحاضر هو إما رواقي وإما أبيقوري وإما متشكك) . وليست الرواقية بحاجة الى تقرير بعد الذي صاغه لها « مُنتِسْكيو » من قبل في بليغ العبارة إذ قال في كتابه « روح القوانين » : (استطاعت الرواقية وحدها ان تربي مواطنين أحراراً ، وأن تنشئ رجالاً عظاماً ، وأن تخرج أباطرة كباراً)

٤ — ﴿ الرواقية والاخلاق ﴾ : والرواقية في صميمها مذهب أخلاقي . هي قاعدة للحياة وللحياة الباطنية . ولا وجود للرواقية حيث تكون الاخلاق معطلة . وقد يتنازع الرواقيون فيما بينهم على كثير من مسائل الفلسفة . والواقع ان الخلاف قد احتدم بين شيوخهم الأولين في أكثر من موضع من المنطق وفلسفة الطبيعة . ولكن هذه أمور تكاد تكون عرضية بالقياس الى جوهر الفلسفة الرواقية . فقد لا يجد الرواقي حرجاً في أن يعتنق في مثل هذه المسائل الرأي الذي يشاء ، ما دامت نتائج نظره من حيث الاخلاق واحدة مصونة ليس الى المساس بها سبيل والواقع ان تعريفات الرواقين للفلسفة تدلنا على ان للأخلاق فيها المكان الاول : فقد قالوا الفلسفة ممارسة الفضيلة ، والفضيلة صناعة واحدة لا تتجزأ ، وهي أشرف الصناعات منزلة ، وأشدّها ملائمة لطبيعة البشر . وقال الفيلسوف الرواقي الروماني سنكا : (الفلسفة نهج مستقيم في الحياة ، وعلم يُعدّنا لأن نحيا على الفضيلة ، وصناعة إنسلك بها من السهل أقومها ، الفلسفة ناموس حياة جميلة فاضلة)

٥ — ﴿ النزعات الأولى ﴾ : أول ما يبدأ الرواقيون به نظرهم في الاخلاق هو ان يبحثوا عن الميول الطبيعية ، فيتساءلوا ما موضوع النزعات الأولى للموجودات ، أي ما الفطرة التي فطرت الموجودات عليها ؟

وهم يجيبون عن هذا السؤال بأن الميول السابقة على الارادة والروية ، والتي يشترك فيها الانسان والحيوان هي على نوعين : ميول تنزع الى حفظ الفرد نفسه . وميول تنزع الى حفظ الجماعة التي ينتمي الفرد اليها . فكل موجود حي انما يملك في الأصل بنيته الخاصة وله شعور بها ، ومن أجل ذلك كان دائم البحث عما يلائمها وما لا يلائمها . ومن قال بأن اللذة هي أول ما ترغب فيه الموجودات فقد أخطأ . انما تحصل اللذة للموجود اذا وجد ما يتفق مع بنيته ، والخير لكل موجود هو موافقة طبيعته الخاصة

٦ — ﴿ موافقة الطبيعة ﴾ : وموافقة الطبيعة عند الانسان تعني الحياة وفقاً للعقل . والعقل هو الجزء الرئيسي فينا الذي يقوم ماهيتنا الانسانية . ويلزم عن ذلك ان الحياة وفقاً للطبيعة هي الحياة وفقاً للعقل . لكن الانسان حين يحيا وفقاً للعقل لا يكون موافقاً لنفسه فحسب ، بل يكون موافقاً لمجموع الأشياء أي للكون : لأن العقل لا يختص بالانسان وحده ، بل هو أيضاً من خصائص الموجود الكلي ، أي من خصائص الكون . والعقل الانساني ليس إلا جزءاً من العقل الكلي الشامل . فبالعقل نحيا على وئام مع أنفسنا كما نحيا على وئام مع العالم أجمع

وهذا هو معنى العبارة المشهورة التي قالها زينون : « الحياة وفقاً للطبيعة » . ومعناها أولاً ان الانسان ينبغي عليه أن يعيش على وفاق مع الطبيعة ، أعني على وفاق مع العقل ، لأن العقل طبيعة ولكن لها معنى آخر : وهو ان الانسان حين يحيا وفقاً للعقل انما يحيا وفقاً للقانون الكبير الذي يحكم العالم . وخير الانسان وسعادته هي الحياة وفقاً للطبيعة الكلية . وذلك هو ما تعبر عنه مناجاة مرقس اوريليوس حين قال :

« كل شيء يلائمني ، اذا لاءمك أيها العالم ،

وما جاء في الوقت الملائم بالنسبة اليك

فليس متقدماً ولا متأخراً بالنسبة إليّ

« وكل ما جاءني به فصولك أيتها الطبيعة فهو ثمرة عندي .

وكل شيء يأتي منك ، وكل شيء فيك ، وكل شيء يعود اليك »

٧ — ﴿ الفضيلة ﴾ : ومن أجل ذلك عرّف الرواقيون الفضيلة بأنها «العقل الصريح» ، أي العقل الكامل السليم الذي يظل دائماً متسقاً مع نفسه . وينتج عن العقل الصريح حياة متسقة أجزاؤها . والرجل الفاضل الحكيم الذي تسير حياته كلها وفقاً للعقل الصريح انما يحيا

وفقاً للطبيعة الخاصة ووفقاً للطبيعة العامة ، وهو مواطن حقيقي من مواطني العالم . وهو يقبل طوعاً كل ما يأتي به القدر من أحداث ، حتى المصائب والنكبات ، معتقداً انها داخلة في النظام السكلي والقضاء الالهي . والرجل الخبيث على عكس ذلك يجده على خلاف مع نفسه ، وعلى خلاف مع الموجودات جميعاً . وهو غريب في المدينة العظمى مدينة الكون . ومع ذلك فالشرير مهما يتمرّد على القدر ، فلن يجديّه ذلك نفعا : لأن جهوده للتخلص من الاقدار انما تسوقه حيثما أرادت الأقدار

❖ فن الحياة ❖ : اذا عرف الانسان طبيعته وطبائع الاشياء استطاع أن يحدد موقفه منها . والانسان بحاجة قبل كل شيء الى أن يعرف كيف يحيا حياة فاضلة . وانما الحكمة هي التي تكفل تلك المعرفة . والحكمة لا تخالف الطبيعة ، بل هي أولى بأن تكون موافقة للطبيعة . والحكمة فن من أصعب الفنون : إذ هي ترشدنا الى ما ينبغي أن يُصنع لا بشيء معين ، بل بالأشياء على وجه العموم . ومن الممكن أن تعرف الحكمة اجمالاً بأنها : « فن الحياة »

وسبيل الحياة حياة فاضلة أن يكون المرء دائماً على ثقة من أفعاله . فيجب ان يتخذ لنفسه في حياته موقفاً مقررأ ومسلماً واحداً ثابتاً لا يتبدل . وأمثل السبل لذلك أن يتصرف في الأشياء وفاقاً لحكم العقل ، وقد رأينا ان العقل يطابق الطبيعة . واذا كان العقل ثابتاً فهو كفيل بثبات السلوك الانساني . وما دام الناس لا يسرون في حياتهم على مقتضى العقل والحكمة فسلوكمهم لا يبرح متغيراً متقلباً . ومثل الذين يحيون حياة سيئة قبيحة عند العقل كمثل الذي أقض السهاد مضجعه فبات متقلباً على جنبه . ولكي يحيا الانسان الحياة الطيبة ينبغي أن يكون له مضجع يطمئن اليه ، اذا جاز لنا أن نستعمل تشبيهاً كهذا . ولذلك كان أول مبادئنا في الحياة أن يكون لنا فيها خطة معينة ، وأن لا نعمل قط شيئاً جزافاً أو مصادرة

٩ — ❖ السعادة بأيدينا ❖ : طمح الناس منذ القدم الى السعادة في الحياة وبحسوا عن السبيل الى ادراكها خالصة مستقلة عن الطوارئ والأحوال الخارجية . وفكر الفلاسفة في هل يستطيع الانسان حقاً بمحض قواه وملكاته أن ينال هذه السعادة فيبرأ من الشرور التي تساور حياته الباطنية كالخطأ وزعزعة الايمان ، والاسف والندم والحزن والجهل ، ومن الشرور الخارجية كال فقر والرق والمرض والبؤس والاهانة والأذى والتشهير

عالج الرواقيون هذه المشكلة فانتهوا الى حلها حلاً عقلياً نجملهُ فيما يلي : قالوا ان سعادة الانسان لا تخضع للأحوال التي تحيط به وانما تتوقف على حالة في النفس للارادة سلطان عليها فليست الاشياء الخارجية هي التي تؤثر بذاتها في وجودنا الباطني ، وانما المؤثر الحقيقي هو استعدادنا النفسي الذي يجعلنا نحيا في هذه الأحوال ونحكم عليها أحكاماً تقويمية ، أعني أن نصفها بالحسن أو بالقبح ، بالخير أو بالشر وما الى هذه المعاني

واذن فأحكام القيم التي نطلقها على ماله مساس بحياتنا هي التي تكيف أحوالنا الاجتماعية فتجعلنا نشعر فيها بالسعادة أو بالشقاء ، بالراحة أو بالتعب . فاذا كان للارادة سلطان على أحكامنا ، وكانت السعادة مرتبطة بهذه الأحكام ، كما قدمنا ، فالسعادة هي اذن في مستطاع كل فرد منا اذا أمكنه أن يحرز نفسه من أوهام الاحكام . وفي ذلك يقول « ايكيتيوس » الرواقى الرومانى : « ان الذي يصيب الناس ويؤثر في حياتهم ليست هي الاشياء نفسها ، بل آراؤهم في الاشياء . فلو كان سقراط يرى الموت شراً لوقع الرعب منه في قلبه . لكن سقراط لم يكن يرى الموت شراً ، فأقدم عليه غير مبال . فقد ظهر اذن ان الموت مثلاً ليس شراً في نفسه ، كما يتوهم جمهور الناس ، وانما الشر هو الخوف منه

١٠ — * الانفعالات أحكام * : ولكن قد يعترض البعض بأن الاشياء قد تؤثر فينا من جهة أخرى تأثيراً مباشراً ، من جهة ما تحدثه في نفوسنا من لذة أو ألم ، أو خوف أو رجا . وبوجه عام من جهة الانفعالات التي تتولد في النفس في كل حال من أحوال الحياة ، دون أن يكون للارادة أو للاحكام العقلية سلطان عليها

والحق ان هذا اعتراض وجيه . ولقد شغلت هذه المسألة بال رواقين . فأروا في الانفعالات النفسية حجر عثرة في طريق السعادة ولذا كانت أولى عنايتهم أن يبينوا كيف يمكن السيطرة على انفعالات النفوس وأهوائها . ذلك انهم يعتقدون ان الانفعالات النفسية ليست في الحقيقة إلا تصورات وأحكاماً عقلية ، وبهذا المعنى يمكن التصرف في شأنها بما نشاء . ولبيان ذلك فرقوا بين أمرين : بين الاحساس الجسماني وهو شيء لا قدرة لنا عليه ، وبين الموقف النفساني الذي تتخذه النفس عقب الاحساس ، وهو أمر يتعلق بقدرتنا وارادتنا . فالرجل يصيبه الألم فيتحمله تارة ويبقى مالم يكاً زمام نفسه ، وتارة يضنيه الألم ويفت في عضده . ولكنه على كل حال يستطيع في نظر أصحاب الرواق أن يقرر بحريته اذا كان يليق به أن يستسلم الى الألم أو لا يليق . وما يصح بالنسبة الى الألم يصح من باب أولى بالنسبة الى الانفعالات النفسية المتصلة بالماضي أو بالمستقبل كالخزن والخوف : فمثل تلك الانفعالات تؤثر في الانسان اذا كان عرضة لخواطر وظنون وأوهام تستطيع الارادة الانسانية أن تحول دون تسربها الى النفس

واذن فهذه الخواطر التي تولد الانفعالات هي أحكام خاطئة ينبغي محاربتها لا باسم السعادة فحسب ، بل باسم العقل وباسم الطبيعة . وذلك ان طلب السعادة مداره النظر الى الطبيعة نظرة عقلية : يدلنا العقل على ان جميع حوادث الكون ضرورية ، لأنها خاضعة في جملتها للقدر . والقدر عند الرواقين هو تسلسل الحوادث تسلسلاً يجعل بعضها يتوقف على بعض بحيث يمتنع حصول شيء بدون علة ، وينتفي الاعتماد بوجود العدة . والاحكام

الخاطئة التي تحدث في النفس انفعالات بؤسٍ انما مصدرها الاعتقاد بالصدفة ، وبأن الاشياء يمكن ان تحدث جزافاً من غير ضبط ولا تدبير . فانفعال الاسف مثلاً مذكور الاعتقاد بان شيئاً وُجد وكان يمكن أن لا يوجد . وانفعال الخوف يتضمن الاعتقاد بان المستقبل غير محدود ولا مضمون . وانفعال الحزن هو تعجل الألم مما لا يجدي الحزن عليه

والخلاصة ان اصحاب الرواق يرون انه لا يجوز عقلاً ان نطلق على الحوادث الخارجية أحكاماً تقويمية من شأنها ان تعرضنا للانفعالات النفسية التي تحرمننا سعادتنا وراحة ضميرنا . وبترتب على هذا انه لا يصح وصف الاشياء بالحسن ولا بالقبح ، كما لا يجوز مدح الدهر ولا ذمه ، اذا جاز لنا أن نستعير ذلك الاصطلاح العربي الذي لا يخلو من نفحات رواقية . انما وجود الحوادث على ما كان ينبغي ان تكون . فليس في وسع الحكمين والحالة هذه الا أن يقابلها بشيء من الازعان وان ينظر اليها نظرة قليلة الاكتراث والمبالاة

١١ — ﴿قدر وعناية﴾ : ولننظر الآن ما التسليم والاذعان في مذهب الاخلاق عند الرواقيين والى أي شيء كان يمكن ان يفضي مذهبهم فيه ، والى أي شيء قد أفضى بالفعل أما ما كان يحتمل أن يفضي اليه هذا المذهب فشيئان :

اولهما — سلب كل حرية ارادية ونفي كل تربية اخلاقية
وثانيهما — ضرب من فرط الهدوء وفقدان التأثير قد يكون من بعض عواقبه جود الحس وخمود الشعور

لكن الحقيقة أن في الرواقية أموراً أخرى أقوى وأروع وأجل ، وان يكن قد غفل عنها بعض الباحثين . ولو كانت فلسفة الرواق الاخلاقية خلواً من مواضع القوة والروعة والجمال ، على نحو ما قد يصورها خصومها ، فكيف كان يتيسر لها البقاء بل كيف كان يتهبأ لها أن تكون ملهمة للسلوك الاخلاقي والاجتماعي ، على النحو الذي حفظه لها التاريخ ؟

ولبيان ذلك نقول : ان «القدر» بمعناه المتداول الآن قد لا يعبر تعبيراً وافياً عن مذهب الرواقين في الكون . ولو سميناه «العناية» أو «التدبير» ، لكننا أدنى الى فهم حقيقة مذهبهم فيه . ذلك انهم يرون ان الكون بأسره انما يهيمن عليه عقل مدبر يتصرف وفقاً لنواميس ثابتة وقواعد محكمة . وكذلك كان اعتقاد حكماء اليونان : لم يكونوا يرون في ثبات القوانين الطبيعية قوة غشوماً أو ضرورة بحثة تزول معها كل حرية ، بل كانوا يرون فيها دليلاً على وجود عقل مدبر لا يغفل ولا ينام . وكذلك مال الرواقيون الى عدّ كل ما ينافي معاني التدبير والعناية داخلياً في باب الصدفة والاعتباط

امام قلة شعور الرواقين ، وعدم مبالاهم بالاشياء الخارجية فنفسره على وجه آخر : ذلك ان الحكمين اذا كان لا يغيب عنه ان جميع حوادث الكون نتيجة ارادة خيرة ، فليس

ينبغي له في عرف الرواقيين ان يقنع بالرضى بتلك الحوادث ، بل واجب عليه ان يريدها وان يرغب فيها . وليس المطلوب في نظرهم هو ان ندعن لقوة لا متناهية ، لا قبل لنا أن نفهمها ، بل خليف بنا أن نفهم ان العقل منبث في جميع انحاء الكون ، وان العقل الانساني لا يختلف في جوهره عن العقل الكوني : فالحكيم اذا خضع لذلك العقل فانما يخضع له اختياراً لا اضطراراً ولذا كانت مهمة التربية الاخلاقية هي مغالبة القوى الاجتماعية ، قوى العرف والتقاليد التي ينوء العقل بعبثها . وكذلك كان اصحاب الرواق يعتقدون ان الانسان خير ليس من طبعه الشر . فلم يكن أهل الرواق متشائمين ، بل كانوا ينظرون الى الكون كله بعين الرضى والتفاؤل . فاذ تناولت نظرهم هذه امور التربية والتعليم ألهمتهم الثقة في الثمرة التي يجنيها الانسان من جهوده ، وما يكون لدروس الاخلاق من أثر مفيد

والحق ان ما كان يهدد الاخلاق الرواقية من دعة وركون وقعود عن السعي وبذل الجهد ، قد انقلب بفضل هذه النظرة المتفائلة شعوراً يشرح الصدر للمستقبل ويفيض على النفس بهجة ونشاطاً ، ويدعوها الى الاقبال على الحياة والاقدام على العمل ، أداءً للواجب الانساني الخاص وتحقيقاً لاغراض الكون العامة

١٢ — * الحكيم الرواقى * : بعد ان استنبط الرواقيون الشروط التي يرونها كفيلة بتحقيق السعادة الصحيحة ذكروا في خصال الحكيم وما ينبغي ان يكون عليه ، أوصافاً كثيرة مشهورة ، ولكنها ربما كانت أدخل في باب المثل والمجدرات منها في باب الوقائع والموجودات فالحكيم في نظر الرواقيين شخص معصوم : يحسن جميع ما يفعل ، وأتقنه أفعاله جدير بالثناء . وهو شخص لا سلطان للاهواء والانفعالات على نفسه . وان سهام الحوادث لتتكسر جميعاً تحت قدميه . فهو لا يتأثر بشيء ، لا يحسن ألماً ولا يستشعر شجناً ولا يعرف همّاً ، ولا يساور قلبه وجل ولا أسف ولا رجاء . هو الغني من غير مال ، والملك من غير ملكة . يعيش بالاجمال في أكمل سعادة ، ويعرف وحده ما يجب في علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفي علاقاتهم بالآلهة . فهو غني ، حر ، جميل ، في وقت واحد ، وهو الحاكم ، والقاضي ، والقس ، وهو أيضاً الخطيب والشاعر والموسيقار والنحوي ، بل ان شئت فقل هو الربان والحاك والاسكاف الى آخر ما هنالك من صفات : وهو بالاجمال المفرد العلم الذي يحيط بكل فن ويتقن كل صناعة ، ويعلم الامور الالهية والانسانية معاً

وعلى هذا النحو مضى اصحاب الرواق مترنمين بالحكيم ، متغنين بما له من صفات وخصال وفعال . وكان ذلك من المواضع التي أطلقت أسنة القدماء من معاصريهم بالسخرية منهم ورميهم بالضرب في أودية الخيال

على أن وصف الحكيم على تلك الصورة المثالية يغلب ان لا يكون معنى يونانياً ، وهو

أشبه ان يكون دخيلاً تسرب الى السكبيين قبل الرواقين
ونحن لا نعهد ذلك المعنى عند سقراط ولا أفلاطون ولا أرسطو ، ثم اننا لا نجد نظيره
حتى في أدب اليونان القديم . فنحن مضطرون الى التماس هذه الصورة عند أهل الشرق ،
بل الشرق الأقصى : فقد تقرب هذه الصورة للحكيم الرواقي من صورة الحكيم البوذي :
« هو ظافر ، عالم فاهم للأشياء جميعاً . لا يحمل للأحداث عبئاً ، ولا يلقي الى هموم الزمان
بالاً . لا حاجة به الى الأشياء ولا رغبة له فيها : هو كالنازح الغريب لا يكثر المدح ولا
ذم ، يقود الآخرين ولا يقودونه ، وهو الحكيم الحق ، وخليق به المجد والتبجيل ... »
تلك اذن مسحة شرقية صيغت صيغة يونانية

يضاف الى الخصال التي يتصف بها الحكيم شيء آخر هو أنه لا شيء في الوجود يستطيع
أن يسلبه ايها . اذ الحكمة عند أصحاب الرواق اما هي استقامة العقل . ولما كان العقل خلواً
من الهوى والانفعال ، فان الرجل اذا بلغ مرتبة الحكمة فلن يستطيع شيء مهما يكن أن
يسلبه ايها : فالهذيان والكآبة والنشوة آفات قد تصيب حواسه وخياله وربما تحدث في
نفسه صوراً وأوهاماً ، لكن عقله يبقى كاملاً وحكمته مصونة لا تتأثر

١٣ — * مفارقات رواقية * ولم يرد أصحاب الرواق ان يكون للحكمة درجات
متفاوتة الارتفاع ، بل مثلهم الأعلى لا يتحقق في نظرهم الا مرة على وجه الكمال . فالحكمة
كالعقل بسيطة مطلقة لا تقبل انقساماً . فاذا كانت التفضيلة هي العقل المستقيم فان الفضائل
المتخلقة التي يفرق الناس بينها عادة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، حتى لتجد الحكيم
حائزاً جميع الفضائل في وقت واحد . وكذلك لا يمكن ان يقال ان انساناً له من التفضيلة
ثلثها او نصفها . بل الرجل اما أن يكون حكيماً فاضلاً وإما سقيماً ناقصاً . ولا يمد فاضلاً
من لم يبلغ التفضيلة بتمامها ، كما ان الغريق في الماء لا يكون أقل غرقاً وهو قيد شبر تحت سطح
الماء منه في قاع البحر . فلا توسط بين التفضيلة والرذيلة : لأن صريح العقل هو العقل الكامل
فهو اما أن يكون موجوداً بأكمله وإما غير موجود بتاتاً . قال « كليانث » الرواقي : « الناس
جميعاً ميالون بفطرتهم الى التفضيلة . ولكن الذين لا ينمون في أنفسهم هذه الميول هم أشرار
أراذل ، والذين ينمونها ويزكونها هم أخيار أفاضل » . فمن حاز تفضيلة واحدة فقد حاز جميع
الفضائل ، ومن كان له رذيلة واحدة فله جميع الرذائل . وكل ما خالف الحكمة الكاملة فهو
الجنون المطبق والحمق المبين !

وما دامت الحكمة بعيدة التحقق ، فالإنسانية في مجموعها لم تزل في سفه وضلال . ولقد
أبى الرواقيون ان يتساهلوا في مثلهم هذا أو يقنعوا بشيء دونه كمالاً . فكانوا كما ذكر
أمامهم اسم شخص مثل ديوجانس أو سقراط — يمكن ان يتخذ هذا الناس مثلاً في الحكمة

والسيرة الفاضلة ، يرددون مصرين : لا ، لا ، ان المثل الذي خطر ببالنا أبداع وأروع . لم يره أهل الأرض في حياتهم قط . وان صح فلم ينعموا به أكثر من لحظة . ثم ولّى بغير لقاء ! فيظهر من هذا ان الرواقين كانوا يرون ان بلوغ الحكمة أمرٌ عسير بعيد المنال ، وانه ليس للفضيلة ولا للرذيلة مراتب . فكما ان العمل الحسن ، وان بدا تافهاً ، يتطلب الفضيلة كلها ، فكذلك جميع الذنوب متساوية ، لأنها تتضمن فقدان العقل المستقيم

١٤ — ﴿ الاشياء المتساوية ﴾ : ومن هنا كان العقل الصريح المستقيم هو المعيار الوحيد للخير والشر . وكل فعل يتم على مقتضى العقل الصريح هو « فعل مستقيم » صريح أي فعل حسن : كالاعتدال والحكمة والشجاعة والعدل . وكل فعل يتم من دون العقل الصريح هو فعل قبيح : كالجهل والاسراف والجبن والظلم

لكن الاشياء في ذاتها ، بصرف النظر عن ميلنا الداخلي ، ليست حسنة ولا قبيحة ، بل هي « متساوية » . ومن هذا القبيل الاشياء التي يتكالب الناس عليها عادة كالصحة والمال والجاه . لأنها يمكن أن يحسن أو يسوء استعمالها

والحياة نفسها ليست في ذاتها خيراً ولا شراً . ومن أجل ذلك حق لنا أن نفارقها اذا عادت لا تتيح لنا أحوالاً ملائمة تسمح للفضيلة بأن تتجلى وتشرق

وجميع هذه الاشياء التي ليست حسنة ولا قبيحة ليست مما في طاقتنا . وانما الشيء الوحيد الذي هو في طاقتنا هو أيضاً الشيء الوحيد الذي له قيمة في ذاته : وهو استقامة العقل واتساقه في نفسه ، وينتج عنه اتفاقنا مع الطبيعة كلها

١٥ — ﴿ الاشياء المفضلة ﴾ : ومع ذلك فقد اضطر الرواقيون أن يقرروا بأن هنالك أشياء تكون في نظرنا أكبر قيمة من غيرها . أي هنالك أشياء نفضلها على غيرها

قالوا : صحيح ان الفضيلة ، أي العقل المستقيم ، هي الخير الوحيد ، وان الرذيلة هي الشر الوحيد . لكن هنالك أشياء وان لم تكن بنفسها هي الخير ، إلا أنها تستحق اسم « المفضلات » وهذه الاشياء هي موضوعات النزعات الفطرية في الانسان ، فهي تتفق وطبيعتنا : كالصحة ، فاننا اذا خيرنا بين الصحة والمرض اخترنا الصحة

والفعل الذي تكون غايته شيئاً من هذه الاشياء المفضلة هو « واجب » أو « فعل مناسب » يمكن تسويغهُ بأسباب وحجج صحيحة ، وله حقيقة راجحة . لكن المسافة بين « الواجب » الذي هو الفعل المناسب ، وبين الفعل المستقيم الذي هو حق اطلاقاً ، تبقى مسافة عظيمة . ومن أجل ذلك كان الحكميم يفعل ، كالمعتاد ، « أفعالاً مناسبة » وفي الوقت نفسه يبقى على استعداد لأن يعدل عن ملوكه ليؤدي فعلاً مستقيماً . فمثلاً هو يبحث في العادة

عن الصحة التي هي موضوع نزعة من نزعاته الفطرية . ولكنه اذا أدرك ان مصيره هو أن يكون مريضاً ، اتجه من تلقاء نفسه الى المرض

فينبغي اذن أن نفرق في « الفعل المناسب » بين الغاية التي ننشدها وبين ما نحققه فعلاً : فكما ان الذي يحيد رمي السهم ليس هو دائماً الرامي الذي يبلغ الهدف ، بل هو ذلك الذي يبذل لبلوغ الهدف كل ما في وسع الرامي المجيد ، فكذلك ما تتطلبه الطبيعة حقاً هو أن نجعل غايات أعمالنا موضوعات للنزعات التي غرستها فينا . أما النتيجة التي نحصل عليها فليس من شأننا أن نقررها . فلربما كان القضاء قد أراد شيئاً آخر غير ما كننا نبغي ، ويجب علينا أن نستقبل بصدر رحب كل ما يأتي بنا به القدر

١٦ — * الاخلاص للواجب * : والانسان جزء من الكون . وهو لذلك حامل عبء مهمة يؤديها فيه . وكل فرد في هذه الدنيا أشبه بضيف في مأدبة ، أو بممثل على مسرح . فينبغي عليه في نظر الرواقين أن يبقى في مكانه مخلصاً لواجبه . ولا بأس هنا من أن نورد من تاريخ الرواقية الرومانية محاور قد تعين على ايضاح معنى الشعور بالواجب والاخلاص له عند أصحاب الرواق

أرسل الامبراطور ثيسباسيانوس (٦٩ — ٧٩) الى هلقديوس پرسكوس الرواقى يأمره أن يتخلف يوماً عن الذهاب الى مجلس الشيوخ

فقال هلقديوس : في مقدورك أن تحول دون انتخابي عضواً في مجلس الشيوخ . ولكن لا بد لي من الذهاب الى المجلس ما دمت عضواً فيه

فأجاب الامبراطور : ليكن لك ذلك . اذهب ولكن لا تتكلم

الرواقى : انا ساكت ما دمت لا تسألني عن شيء

الامبراطور : لكن لا بد أن أوجه اليك بعض الاسئلة

الرواقى : اذن لا بد لي ان اقول ما أراه حقاً

الامبراطور : اذا تكلمت بما تريد امرت بقتلك او نفيك

الرواقى : ومتى قلت لك انني من الخالدين . أنت تؤدي مهمتك ، وأنا أؤدي مهمتي . قد تكون مهمتك قتل الناس أو نفيهم ومهمتي أن أموت دون وجل ، وان أذهب الى المنفى من غير جزع ولا ابتئاس »

نحن لا نرى في مثل هذا الحوار تحدياً ولا صلفاً من جانب الرواقى . ولكنها بساطة واستقامة لا تأنف مسaire الحال ، وثقة الرجل بكرامته ثقة تتطلب منه أن يبقى في مكانه وأن يمضي في مهمته « مخلصاً لواجبه وللقوة بعد ذلك ان تفعل ما تشاء »

والحق اننا لا نستطيع ان نفهم مواقف الرواقية على وجهها الصحيح ، اذا أخذنا بروح

السخرية التي تبدو في نظرات خصومها. فينبغي اذن أن لا تنتهم الرواقين بالكبر والصلف اذا رأيناهم معترزين بحرية ضمائرهم ، واثقين بصحة أحكامهم

١٧ — ﴿ جامعة انسانية ﴾ : قد يؤخذ على افلاطون وارسطو في مذهب الاخلاق أوران : أولهما — أن هذين الفيلسوفين أخضعا الفرد للدولة وأنكرا بذلك حق الانسان في الحرية الشخصية

ثانيهما — انهما لم يعرفا من روابط الصداقة والعطف إلا ما يكون بين المواطنين من أهل المدينة الواحدة ، ولم يعمما صفة الانسانية تعمياً تتخطى به حدود المكان والزمان . حتى اننا لنعجب اذ نرى أرسطو يقر في بعض كتبه مزاعم معاصريه القائلين أن أبناء اليونان أعرق جنساً وأشرف قيمة ممن ليسوا يونان

وجاء أصحاب الرواق فكانت لهم رسالة أخرى : حاولوا القضاء على تلك النزعة ، وخطوا في هذه السبيل خطوات جديدة ، فأحلوا الانسان محل المواطن ، أعني انهم مالوا الى عدّ الانسانية أسرة اعضاؤها أفراد البشر عامة ، أيّا كانت نحلهم أو ألسنتهم وبلادهم

تلك هي الجامعة الانسانية التي نادى بها اصحاب الرواق في العصر القديم . وتذهب تلك الوحدة العالمية الى القول بوجود رابطة اخلاقية موثقة ، تربط بين الآلهة وبين بني الانسان . ذلك ان أهل الرواق كانوا يعتقدون ان روح الانسان لا تختلف في جوهرها عن عقل الكون وان الآلهة والناس ليسوا في الحقيقة إلا أجزاء من هذا العقل الكوني . ولما كان الانسان مخلوقاً قد أعدته الطبيعة للاجتماع والعمران فقد وجب على الناس ان يكونوا اخواناً ، وان يؤلفوا فيما بينهم ما يسميه الرواقيون « مملكة العقل » ، وهي مملكة تشمل أفراد الانسانية جميعاً ، باعتبار انهم أوتوا نصيباً واحداً من العقل وانهم مهيمون للفضيلة . واذن فالدولة المثالية عند الرواقين لا تعرف حدوداً ولا فروقاً ، بل هي مجتمع عقل يضم البشر أجمعين وان شئت فقل هي امبراطورية مثالية واسعة الاطراف ، حتى قال بلوطرخوس مشيراً الى هذه الفكرة : « ان ما مهدت له فتوحات الاسكندر من طريق التاريخ ، قد أتمته الفلسفة من طريق العقل »

لكن يجب أن لا يغيب عن بالنا ان الرواقين لم يريدوا بهذه الامبراطورية الواسعة أن تكون قوة سياسية ذات كيان مادي ، بل أرادوها جامعة روحية تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والارادة . والحق ان فكرة الجامعة هذه لم يكن لها أول أمرها علاقة بالسياسة مطلقاً . إذ ان المدن الانسانية الواقعة تقضي بين البشر فروقاً وضروباً من التفاضل والتفاوت في حين أن « المدينة الفاضلة » أو « المدينة الالهية » في نظر أصحاب الرواق انما هي مجتمع

تحل فيه الوحدة العقلية محل الوحدة السياسية ، وتقوم فيه المودة الروحية بين الناس
مقام القانون

على أن الجامعة الرواقية ان لم تكن تصبو الى التأثير في الأنظمة القائمة تأثيراً مباشراً
كما قلنا ، فقد أتيج لها مع ذلك على مرور الزمان ان تحدث آثاراً بعيدة المدى : فقد
استطاعت ان تلقي طابعاً قوياً على فكرة القانون عند الرومان ، وبقيت مصدر الهام خصب
عند مشرعهم ، كما استطاعت أن تؤثر في توجيه الدعوة المسيحية الى المحبة والرحمة ، وأن
توحي الى جان جاك روسو وفلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا نظراتهم في اخاء بني
الانسان وحقوقهم في الحرية والمساواة

١٨ — ﴿ فضل الاخلاق الرواقية ﴾ : ذلك مجمل الاخلاق الرواقية . ولسنا نزع من ان
تلك الاخلاق كانت كافية وافية ، بل ان فلسفة الرواق كثيراً ما ركبت في أحكامها شططاً ،
وتجاوزت في مطالبها حدود الطاقة البشرية ، فاستحقت أحياناً ما رماها به بعض خصومها من
أنها كانت حديث خرافة ووهماً لا حقيقة . ولكننا يجب مع ذلك ان لا ننسى ان الرواقية
قد استطاعت بفضل مبادئها النبيلة وبما كان لشيوعها من حسن القدوة ان تثبت ما للشخصية
من قيمة ذاتية وان تقوي في نفوس الناس الشعور بالواجب ، وان تحرر الفرد مما في المجتمع
من قيود وسدود ، وان تخضع الانسان لا لقانون وضعي يفرق بين الناس طبقات وطوائف
وقبائل وشعوباً ، بل لقانون الهي يسود العالم كله ، فيؤلف بين العقول والأرواح ، ويجعلها
تتخطى حدود الحياة على الأرض ، حتى لقد قال شيوخ الرواقية :
« ليس المجتمع الانساني وطن الحكيم ، بل وطنه الأكبر هو الكون بأسره »

والحق ان الاخلاق الرواقية قد تيسر لها ان تصون الكرامة الانسانية في عهود الظلم
والهوان ، فضلاً عن انها كانت في جميع عصورها ملهمة للبطولة وملاذاً للنفوس القوية
الزكية . ولقد أصاب بعض الباحثين المحدثين اذ قال :

« الرواقية لا يمكن بحال ان تلائم النفوس الضعيفة ولا العامة . انها انما تستهوي على
الخصوص الشبيهة التي لا تعرف الأشياء لأنها لم تجربها ، والتي لها اعتداد مبالغ فيه بقواها
لأنها منها على شيء كثير . قد يكون موجباً للدهش ان نرى الرواقية تنبت في عصر
اضمحلال لو كانت وحدها منفردة على المسرح ، ولو كانت الأبيقورية لم تحيي في ذلك الوقت
لتخاطب الجماهير ، في حين أن الرواقية لم يكن ليستمتع لها الا النفوس الممتازة . لقد أسدت
الرواقية أيادي عظيمة في الأزمان القديمة ولا أقول إنها لا تستطيع أن تسدي الآن »

الاجتماع

وعلم الشعوب وآدابها وحكمتها
في « الفولكلور » العالمي

للاستاذ محمد لطفي جمعة الحامي

— ١ —

كلمة فولكلور Folklore معناها علم الشعب وهو مجموعة الأساطير والأمثال والشعر والنوادر والحكم المحكية والمحفوطة عن ظهر قلب والمروية بين الأفراد والجماعات والمستشهد بها في البوادي والحوضر . ولهذا العلم شأن كبير في علم الاجتماع لأن فيه الدلالة على طرق التفكير في الحياة ووسائل الفهم التي ترشد العامة وهي العكثرة الغالبة وتثير أذهان الخاصة في علاقتهم بالطبقات النازلة من المجموع . وأول من غني بهذا العلم عناية خاصة الأستاذ ماكس مولر الأستاذ بجامعة أكسفورد وازيكو فيري ونيتشوفورو وبريس من علماء الاجتماع الاوربيين . وفي الشرق ألف الميداني الشهير كتابه في الأمثال عند العرب وذكر أسباب شيوعها وحكمة الاستشهاد بها وهو يعد من أمهات كتب الأدب العربي . وفي العصر الحاضر فإن جنپ الفلامنكي وفي مصر المرحوم محمود عمر الباجوري أحد علماء الأزهر ودار العلوم وأحد أعضاء الوفد الذي بعث به في سنة ١٨٩٣ الى مؤتمر المستشرقين في استوكهولم عاصمة سكاندنافيا (التي كانت مكونة من السويد والنرويج متحدة تحت إمرة ملك واحد) . وقد ألف هذا العالم المصري كتاباً في الأمثال . وآخر في الأغاني والمواويل . وثالثاً في النوادر والقصص الشعبي . وأثبت ان قصة لوهنجرين (اوبرا المانية من وضع وتلحين ريشارد فاغنر) هي نفسها قصة عويد السذب التي تروى للاطفال في القرى المصرية

— ٢ —

وقد اتخذ الفولكلور العالمي ، في أدب اللغة العربية القديم صورة المقامة وهي في اصطلاح علماء الادب العربي قطعة من النثر يضاف اليه نظم في كثير من الاحوال ، مبنية على قصة قصيرة خيالية في معناها وحوادثها ترمي الى دغزى معين وتؤدي الى استخراج موعظة أو

حكمة للتدبر والاعتبار على الغالب، ولكل مقامة أو مجموعة من المقامات بطل واحد منفرد بصفات معينة كعيسى بن هشام أو ابي زيد السروجي . ويدور على هذه الشخصية أهم ما في القصة من ذكاء وحذق ولباقة وكياسة وسعة ادراك وحيلة ، ومفاجات ومغامرات وغرائب . وليس البطل في المقامة هو الذي يروي الوقعات أو يسرد الحوادث كما هي الحال في قصة مندباد البحري بل له رواية يسجل أقواله وحوادثه كالخارث بن همام في مقامات الحريري وعيسى بن هشام في مقامات بديع الزمان الهمداني التي بطلها أبو الفتح السكندري الذي يقول:

اسكندرية داري لو قرّ فيها قراري

لكن بالشام ليلى وبالعراق نهاري

أي انه جوّاب آفاق وصاحب مخاطر ، سريع في التنقل وكأنه تنبأ بعصر السفر بالطائرات فهو عيسى في الشام ويصبح في العراق ولا يقر له قرار في وطنه الاسكندرية وأسلوب المقامات أحد فنون الأدب العربي

وحجبتنا في انها كانت تجمع الادب الشعبي ان أصل اللفظ اللغوي «مقامة» معناه مجلس أو نادٍ يقول فيه العلماء والأدباء والوعاظ حكمتهم وأدبهم ووعظهم ويضربون أمثالهم للحاضرين والسامعين . وذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء ص ٢١١ فقال « يفيضون في الحديث ويذكرون من الشعر [الشاهد والمثل] ومن الخبر الايام [والمقامات] »

وقد سرى فن المقامة المنطوي على أدب الشعب وأمثاله وحكمته من العرب الى سائر الشعوب السامية فقلدهم الفرس والعبرانيون والسيريان فوضعوا مقامات باللغة العربية بعد أن تعلموها وأتقنوها . والخذر ثم الخذر من الظن بأن القصص التي تلقى على العامة كقصة سيف ابن ذي يزن أو قصة عنتر أو فاطمة ذات الهمّة هي من نوع القولسكوز أو الادب الشعبي . فان هذا نوعاً آخر يقصد به الى تنقيف الجماهير وتسليتها . أما القولسكوز وفي مقدمته المقامة لا يقصد به الا تعليم العامة الحكمة الانسانية على وجه الاختصار والايجاز بأساليب براقة لامعة تأخذ بالآلباب

نعم ان المقامات العربية كمقامات بديع الزمان من أهل القرن الرابع الهجري ، قرن النثر الفني ، ومقامات الحريري من أهل القرن السادس الهجري ، كتبت جميعها باللغة العربية الفصحى ، لأنها كانت لغة الكتابة والخطابة والحديث والامثال . وكذلك المرحوم الموليحي (من أهل القرن الرابع عشر الهجري) لما وضع كتاب عيسى بن هشام عن حياة القاهرة في القرن التاسع عشر والعشرين المسيحي اتبع اللغة العربية بأسلوب مصنوع (مصطنع متكف) مشجع غاية في التألق والتزويق يجمع من شوارد اللغة وفصيحتها وعيون مفرداتها وتراكيبها

وأمثالها ونوادرها مقداراً وافرأ . ولكنَّ هذا العمل كان تقليداً للحريزي، وبديع الزمان وقد كان أكثر تحرراً من سابقه . ولكنَّ أول من كتب المقامات وهو أبو بكر بن دريد (من أهل القرنين الثالث والرابع الهجري) لم يتبع الأسلوب الفصيح بل كتبها بلغة مخالفة . والدليل على ذلك ما جاء في كتاب زهر الآداب « أن ابن دريد جاء بأربعين قصة وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره وأنتجها من معادن فكره وأبدأها للأبصار وأهداها إلى الأفكار في معارض حوشية وألفاظ عنجبية خفاء أكثرها تنبؤ عن قبوله الطبع ولا ترفع له حجب الاسماع وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة وضروب منصفة » انتهى كلام زهر الآداب ويستنتج منه أن ابن دريد ألف هذه الأربعين قصة وكتبها بلغة الشعب وأمثالهم فنشرت منها أسماء أهل الادب ولكنه يعد بحق مسجلاً أولاً للادب الشعبي

ويتكلم مؤلف زهر الآداب عن مقامات ابن دريد أو قصصه الشعبية كلام من قرأها واطلع عليها ولم توافق ذوقه . وقد فقدت هذه المقامات ولو وجدت لكانت جزءاً مهماً من الادب العربي القديم وتحفة وطرقة تاريخية ولكن بديع الزمان نفسه ألف اربعمئة مقامة فقد منها خمسون وثلاثمئة مقامة ولم يبق منها الا خمسون

ولكن أديباً معاصراً وهو الاستاذ العالم الفاضل خليل مردم بك أحد أعلام الادب الشامي بدمشق اهتدى بعد بحث طويل واستقراء إلى العثور في أمالي أبي علي القالي — وهو تلميذ ابن دريد وخليفته في فنون الادب — على احدى عشرة قصة مبعثرة في الأمالي رواها صاحبها عن استاذة ابن دريد وهي أكثر من ربع المقامات التي ألفها فيكون حظ ابن دريد أسعد من حظ بديع الزمان لأن الذي بقي من مقاماته ثمنها فقط . واليك عنوانات هذه القصص التي تدل بمجرد الاطلاع عليها انها من صميم علم الشعب (فولكلور)

١— حديث النسوة اللاتي أشرن على بنت قيل من أقيال حمير بالزواج ووصفن لها محاسن الزوج (ج ١ من أمالي القالي ص ٨٠)

٢— حديث زبراء الكاهنة تنذر بني رثام من قضاعه بين الشجر وحضر موت ج ١ ص ١٢٦

٣— حديث خنافر الحميري مع رثيه شصار (الرئي معناه الروح الجني الذي يألف رجلاً ويطلع له على الغيب) ج ١ ص ١٣٣

٤— قصة مصاد بن مذعور وخروجه في طلب ذود له وما أخبره به الجواري الطوارق

بالخصى ج ١ ص ١٤٣

والجواري طوارق بالخصى هنَّ من الجن اللواتي تظهر للبشر وتنبتهم بالحوادث وتنجم لهم

بطرق الحصى مثل الاسطورة التي سجلها شكسبير في مأساة ماكبت الشهيرة . وخلصتها ان ثلاث عجائز من الجن ظهرن له في الغابة وتنبأن له بعد حرق البخور بأنه يقتل ابن عمه الملك ضنكان ويصل الى عرش ايقوسية . فكان ذلك باعثاً له على قتل ابن عمه
٥ - حديث غسان بن جهمم مع ابنة عمه ام عقبة وكيف تراءى لها في المنام بعد وفاته
ذيل الامالي ص ٢٠٥

وقد ذكرنا بعض هذه المقامات أو القصص التي ألفها ابن دريد ولا سيما التي فيها اخبار النساء والكهانة والاخبار عن الغيب والاحلام والرؤى وشخصيات الجان لان علم الفولكلور يدور على هذه المسائل . ولا ننسى ان اهل الشام يطلقون على علم الفولكلور اسم « دفتر النسوان » وفي مصر يسمونه « علم الركة »
ومجمل القول في هذا الباب ان علم الفولكلور قديم عند العرب يرجع الى القرنين الثاني والثالث للهجرة . هذا اذا لم يرد ان يعود الى الادب الجاهلي الذي كان حافلاً حاشداً بهذا النوع من الامثال والحكم والمواعظ . وعلى الرغم من رسالة الاسلام التي قضت على الكهانة والاساطير واخبار الجن والتنجيم والرجم بالغيب فان هذا الفن (فولكلور) ظهر في الاسلام مدوّنًا من القرن الثاني

- ٣ -

وفي الوقت الحاضر أخذ علم الفولكلور في الأدب الأوروبي مكانة عليا لأنه يساعد الباحثين على الوصول الى ما يتطلبونه من المعلومات من ينابيعها الاصلية فيما يتعلق بمظاهر الحياة المادية التي يحياها هؤلاء الناس الذين يتصدون لدرس عاداتهم وما احتفظوا به من تقاليدهم القديمة وما هم عليه من الأوضاع الاجتماعية والفردية فيعثرون على كثير من المواد التي يعتمد بها العلم ويقابلها مع غيرها من أوضاع اجتماعية جرت عليها الناس في بلاد أخرى من بلاد العالم مما يدخل في اختصاص علوم كثيرة منها علم طبائع الشعوب (اثنولوجيا) وعلم الاجتماع وعلم التقاليد والعادات

ومن أهم آثار الفولكلور العلم القائم بذاته بين العلوم أنه عمد الى تحليل مؤلفات الأدب العامي سواء أمكتوبة كانت أم مخطوطة أم محكية ومروية وهي الحكايات والاحاديث المطولة (حواديث) والافاني والمواويل (موالي) والامثال والنكات والامثال العامة التي لا يمكن العثور عليها في ثنايا الكتب ولكن روايتها وتداولها بين الناس يجعلها قريبة من الثبات في شكلها مما يمكن ان نسميها مؤلفات أدبية . فأسمى مؤلفات الأدب الغربي وأشهرها

كالإيذاة والوديسة وما سي ما كبت وفاوست مدينة بأصلها الى الخرافات الغامية والأساطير وكثيراً ما يكون فيما كتبه الكتاب في القرون الوسطى ولا سيما المؤرخون والجغرافيون منهم كلمات وتعايير خاصة بالصناعة والهندسة والثياب والمطاعم والتجارة والملاحة لا يمكن العثور على معانيها في أكل القواميس العربية وأكبرها ولكن كثيراً ما تكون هذه الكلمات باقية في لغة من اللغات العامية التي كانت السبب في حفظها وعدم ضياعها (أنظر درس المستشرقين اللغة العامية للمستشرق آدمون صومسه ترجمة الداغستاني سنة ١٩٣٣) أما فيما يتعلق بالأدب العربي فإنه مستمد من حياة الأعراب اليومية قبل الإسلام . ومن المعلوم ان الشعر والمقامات والأخبار التي ترجع بأصولها الى حكايات كانت تروىها وتتغنى بها وترددها وتنشدها طائفة من القصاص والرواة والوعاظ والناصحين والمرتزة ضربوا في مجاهل الارض على عدد من أفراد الشعب يلتفون حولهم في زاوية من زوايا الطرق أو تحت خيمة أو في فناء قصر أو في مجلس عشاء أو في حلقة فقراء

فكيف يمكن بعد ذلك أن يدرس الأدب العلمي أو علم الاجتماع أو أخلاق الشعوب أو أخلاق المجرمين أو عادات المشردين أو ضحايا المخدرات أو طبائع العمال والصناع والفلاحين والزراع دراسة مجدية إذا أهملت دراسة هذه الآداب والفنون والتحف العامية وكثيراً ما يكون في الادب العامي ذي الطابع المحلي الخاص من العبقريات ما عسى أن لا يظهر في الادب الصحيح العام الذي قل أن تبرز فيه الطبيعة المحلية الخاصة . (أنظر كتاب ويلمور القاضي الانجليزي عن براعة النكتة والفحشة في اللغة العربية العامية بمصر ١٩٠٣) ففي فصول «خيال الظل» و«قره جوز» يظهر الفرق جلياً واضحاً بين الامزجة المصرية والعربية والتركية فقد نقل المصريون والسوريون هذه الفصول عن الترك واليونان (بطل قره جوز اليوناني فاصوليا ديس) وفي فرنسا الملعب المسمى grand guignol ورواياته وقصصه وأشعاره وأغانيه

وفي انكلترا Punch and Judy show وفي كل من البلاد الخمسة أو الستة التي ذكرناها حلّت مظاهر الطبيعة القومية المحلية محل مظاهر الطبيعة المنقول عنها في الاغاني والانشيد التي تتخلل هذه الفصول مثلاً قامت العاطفة العربية الحزينة الولهاء مقام العاطفة التركية الهفافة

وفي فرنسا حلّت عاطفة الهذر والمزاح والمجون محل النكتة الانجلوسكسونية الباردة القارصة التي كأنها لفحة هواء أو أثر من عاصفة

[للبحث تمت]

الآثار الأيوبية

في دمشق

للدكتور أسعد طلس
عضو المعهد الفرنسي بدمشق

إذا نحن استثنينا الجامع الأموي ، وبعض أبواب المدينة ، وبعض كنائسها ، لم نجد في دمشق آثاراً ذات شأن قبل العصر الأيوبي ، الذي تزخر دمشق بآثاره وتفتخر ، ولا نعرف كتاباً عربياً عن بدراسة هذه الآثار من الناحيتين العلمية والفنية . أما باللغات الأجنبية فانك واجدٌ كتباً كثيرة وأجدرها بالذکر ما يأتي :

١ — آثار دمشق التاريخية : (بالفرنسية) للامتاذ الدكتور جان سوفاجه J. Sauvaget عضو المعهد الفرنسي بدمشق سابقاً والامتاذ بجامعة باريس حالياً واسم كتابه Les Monuments Historiques de Damas وهو كتاب في ١١٦ ص بالقطع المتوسط استقصى فيه آثار دمشق التاريخية من أيوبية وغير أيوبية ، مصحوبة بتفسيرات تاريخية وملاحظات فنية تعين من يريد الاطلاع على تاريخ الفن المعماري الاسلامي في هذه المدينة . وقد أمان القارئ بكثير من الرسوم والمخططات والقطاعات التي تيسر له عمله . والكتاب من مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق سنة ١٩٣٢

٢ — الآثار الأيوبية في دمشق : (بالفرنسية) وهي مجموعة يصدرها المعهد الفرنسي بدمشق باسم Les Monuments Ayyoubides de Damas صدر منها الجزء الاول في ٥٠ ص بالقطع الكبير مع ١١ لوحة فطوغرافية طبعت بباريس سنة ١٩٣٨ بعناية E. de Boccard وقد بحث فيه عن « قبة صفوة الملك » و « دار الحديث النورية » و « قبة فرخشاہ وبهرام شاہ » و « المدرسة الجهاركسية » . وعما قليل ، ينشر القسم الثاني وسينتظم البحوث الآتية : « المدرسة الريحانية » و « المدرسة العذراوية » و « المدرسة العزمية البرانية » و « المدرسة العادلية الكبرى » و « ثلاثة حمامات أيوبية » . والقسم الثالث منتشر فيه « قبة البدري »

٣ — كتاب دمشق Damaskus : (بالالمانية) للمستشرقين الالمانين K. Wulzinger و G. Watzinger وهو كتاب ضخيم في مجلدين ، أولهما في دمشق وآثارها قبل الاسلام

وثانيهما في دمشق في الاسلام . والكتاب جليل الفائدة على أغلاط كثيرة فيه . وهو مطبوع ببرلين وليزيغ سنة ١٩٢٤

على هذه المصادر العلمية الثلاثة سنعتمد في سلسلة مقالاتنا هذه عن آثار دمشق الأيوبية وسنخص بالاعتماد منها كتاب « الآثار الأيوبية في دمشق » لا تقانه الشديد ، وحسن بحثه ، وصبغته العلمية الصحيحة كما اننا سنعتمد من الناحية التاريخية على طائفة من المصادر نخص منها بالذكر : تاريخ دمشق لابن عساكر ، وتاريخ ابن كثير ، وكتاب تنبيه الطالب والدارس في أخبار الآثار والربط والمدارس للنعماني (مخطوط) ، ومساجد الشام لابن عبد الهادي (مخطوط) وقد عنيانا بفسره وسيتم طبعه عما قريب (ومنادمة الاطلال ومسامرة الخيال لعبد القادر بدران (مخطوط) وخطط الشام للعلامة محمد بك كردعلي

قبة صفوة الملك السلجوقية

لم يبق اليوم من هذه القبة أثر ، وقد كانت تقع في حديقة غربي المدينة في الشارع المشهور بزقاق الصخر حيث تقوم الآن بناية «سينما الروكي» أمام الخانقاه الیونسية المشهورة بجامع الطاووسية ، غير بعيدة عن مدرسة التجييز والمدرسة العزية البرانية . وقد كانت باقية الى ربيع قرن خلا

﴿ تاريخها ﴾ : يذكر المستشرق الفرنسي M. Van Berchem في مجموعة الكتابات الأثرية ٢/٤ Coll. Carnet أنه كان على بابها رخامة مساحتها (٢٠٠ × ٤٠ سنتيمتراً) مكتوب عليها أربعة أسطر بالقلم الكوفي المزهر الدقيق الجميل ما نصه (١) « (١) بسمة أمر بعمارة هذا المشهد والتربة فيه (وقد حرفها أصحاب كتاب Repertoire الى « قبة » وهو خطأ) الخاتون الأجلة السيدة صفوة الملك عز نساء العالمين (٢) والدة الملك دقاق بن تاج الدولة ووقفت عليه جميع البستان المجاور لذلك وجميع البستان الذي بقرية كسفانية المعروف قديماً (٣) الله العاسي (؟) وجميع المعصرة وجميع البيوت وجميع الدار المجاور (كذا) جمع ذلك البستان المذكور وفقاً مؤبداً محرماً لا يباع ولا يشتري ولا يبادل به يصرف عليه (٤) ذلك وقفه العجى (؟) وأجرة المقرر فيه على ما نسخ في كتاب الوقف دائماً أنابها الله ووفقها و لـ (عنة الله على من ...) على ذلك (و) ابدله وذلك في سنة اربع وخمسمائة » أما صفوة الملك فهي السيدة الجليلة زوجة تاج الدولة نقش بن الب ارسلان السلجوقي ، مات زوجها فتزوجت الاتابك الامير ظهير الدين طغتكين مربي ولدها الامير دقاق . وقد

(١) نشر هذا الكتاب أصحاب كتاب Repertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe ج ٨ / ٨٦ وقالوا انها موضوعة فوق باب المدرسة الظاهرية وهو خطأ

كانت سيدة جليلة محنكة ، أدارت دمشق وأعمالها إدارة حسنة بعد زوجها الاول ، هي وزوجها الثاني الاتابك وماتت سنة ٥١٣ . واليك نص مؤرخ دمشق في تلك الفترة أبي ليلة حمزة القلانسي «... وعاد ظهير الدين أتابك منكفئاً الى دمشق عقيب هذا الظفر ودخلها يوم السبت لليلة بقيت من جمادى الاولى سنة ٥١٣ فصادف الخاتون صفوة الملك والدة شمس الملوك دقاق ابن السلطان تاج الدولة تتش ابن السلطان الب ارسلان قد نهكها المرض وطال بها وقد أشفت على الموت وكانت لقدمه متوقعة والى مشاهدته متطلعة فأدركها وشاهدها وسمع مقالها وقبل وصيتها وأقامت القليل وتوفيت الى رحمة الله ومغفرته ورضوانه بين صلاي الظهر والعصر من يوم الأحد آخر جمادى الاولى سنة ٥١٣ ودفنت عند ولدها في القبة التي بنتها على القلعة المطلة على الميدان فلقد كانت من النساء المصونات المحبة للدين والصدقات والتزهد عن الظلم بطلب الخيرات (١)

واما دقاق ابنها فهو الامير شمس الملوك دقاق بن تتش السلجوقي ملك دمشق واعمالها من سنة ٤٨٨ — بعد وفاة أبيه وكان المدير لأمواره الامير طغتكين أتابك بوصية من أبيه (٢) — الى سنة ٤٩٧ وفي هذه السنة عرض له مرض تطاول به ووقع معه تخليط الغذاء وانقطع الرجاء من عافيته فتقدمت والدته الخاتون صفوة الملك اليه أن يوصي بما في نفسه ولا يترك أمر الدولة سدًى فأوصى للامير ظهير الدين طغتكين بحضانة ولده الصغير تتش الى أن يكبر وتوفي رمضان تلك السنة . هذا ما يقوله المؤرخ ابن القلانسي (٣) ويذكر ابن عساكر أن دقاق ولي إمرة دمشق بعد أبيه سنة ٤٨٧ ودبر هو وطغتكين المعروف بابي بكر زوج ام الملك دقاق . ثم حصل له مرض تطاول به فمات في رمضان سنة ٤٩٧ فغلب طغتكين على دمشق وقيل ان دقاق مات سنة ٤٩٣ وان امه دست له جارية فسمته في عنقود غلب معلق في شجرته ثقبته بآرة فيها خيط مسموم (٤) . وعندنا ان هذه القصة اقرب الى الخيال منها الى الحقيقة لأمور منها (اولاً) ان دقاق كان على اتفاق مع زوج امه طغتكين في حياته وحين وفاته ولولا ذلك لما أوصى اليه بابنه الصغير تتش (ثانياً) ان ابن القلانسي لم يذكر شيئاً من ذلك وهو اقرب عهداً بالعصر من ابو عساكر (ثالثاً) ان ابن عساكر ذكر الحقيقة التاريخية اولاً ثم عقب عليها بالقصة ذاكرةً ايهاا بصيغة التضعيف . وقد نقل هذه القصة ايضاً النعماني في كلامه على الخانقاه الطاووسية ولكنه مؤرخ متأخر لا يعتمد على ما يرويه عن غير عصره

﴿موقعهما من قبة دقاق﴾ : تفيد الرخامة التي كانت على بابها ان قبة صفوة الملك بنيت سنة

(١) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص : ٢٠١ طبع H. F. Amedroz بالمطبعة اليسوعية ببيروت سنة ١٩٠٨ (٢) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص : ١٣١ (٣) المصدر السابق ص ١٤٤ (٤) تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٥/٢٤٧

٥٥٤ هـ كما تفيد انه كان الى جانبها مشهد. وتفيد عبارة ابن القلانسي ان القبة كانت على القلعة المطلة على الميدان الاخضر — المعروف الآن بالمرج الاخضر — وتفيد عبارة ابن القلانسي أيضاً ان صفوة الملك دفنت عند ولدها فهل دفنت هي وابنها في قبر واحد وتحت قبة واحدة أم كان هناك قبران وقبتان ؟

يرى الاستاذان سوفاچه وايكوشار: ان هناك قبرين وقبتين لان دقاق مات قبل امه ولا يمكننا ان نفرض ان جثمان الام وضع فوق جثمان الابن لان تاريخ بناء القبة كان سنة ٥٥٤ أي بعد موت دقاق بسبع سنوات. ثم ان المكتوب على الباب ينص على ان هذا المعبد كان يحتوي على قبة القبر (التربة) وعلى المشهد. والمعروف ان قبة دقاق كان الى جانبها مسجد كبير كما يقول ابن عساكر في الفصل الذي عقده عن مساجد دمشق. واليك نص عبارته «... (ومسجد) آخر كبير في قبة قبر الملك دقاق المعروف بقبة الطواويس في الرباط الذي بنته خاتون ام دقاق ^(١) » وليس في قبة صفوة الملك شيء من ذلك — كما وصفها من رآها — ولم يكن الى جانبها اثر لمسجد كبير ^(٢). ونقول إن المؤرخين متفقون على ان قبر دقاق المشهور باسم قبة الطواويس او خانقاه الطواويس او الطاووسية كان يقع بين المدرسة العزية البرانية — وهي امام حديقة التجهيز اليوم — وبين الخانقاه البوليسية المعروفة اليوم بجامع الطاووسية. وهذه الاوصاف تنطبق تمام الانطباق على اوصاف قبة صفوة الملك كما يصفها الاستاذان سوفاچه وايكوشار واصحاب كتاب Damaskus. فهل كانت قبة صفوة الملك الى جانب قبة ابنها دقاق بحيث تكون الاوصاف واحدة ؟ ثم ان الرخامة تنص على انه كان الى جانب قبة صفوة الملك مشهد، والمؤرخون يذكرون انه كان الى جانب قبر دقاق مسجد كبير، فهل المشهد والمسجد الكبير شيء واحد ؟ ان الذين رأوا قبة صفوة الملك قبل اندثارها لا يذكرون لنا انه كان الى جانبها آثار مسجد كبير. أفيمكننا بعد هذه الامثلة كلها ان نقول انه كان الى جانب قبة صفوة الملك ومشهدا قبة ابنها دقاق ومسجده ؟ الحق انه لا يمكن القطع بذلك فان النار التي شبت في تلك الناحية سنة ٦٢٦ وأصابت الخانقاه الطاووسية كما يذكر النعماني، ذهبت بكثير من معالم تلك المعاهد ثم إن كثر الزمن يمنعنا من القطع بشيء

﴿وصفها﴾: بنيت قبة صفوة الملك في بقعة مستطيلة من الارض طولها ٣٠ متر وعرضها ٤٥ متر وكان لها جبهة حجرية شمالية حسنة البناء فيها الباب ومن فوقه الرخامة ويقابل هذه الجبهة جبهة جنوبية فيها شباك ضخم يقابل الباب. وفي الحائطين الشرقي والغربي شبا كان كبيران من فوقهما كرة. وفي وسط بقعتها المستطيلة غرفة مربعة الشكل من فوقها قبة والى

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٩ / ٢٢٨

(٢) أنظر Les Monuments Ayyoubides ٨ / ١

جانبى الغرفة المربعة غريفتان مستطيلتان من فوق كل واحدة منهما نصف قبة
 ﴿بناءها﴾ : كانت حيطانها مبنية بحجارة صغيرة غير متقنة الصنع او بمواد أخرى
 مرصوفة رصفاً غربياً ترى فيها الحوار والصوان والمرمر الأبيض وغير ذلك كما ترى القدر
 الخشبية تصل بين الجزء والجزء من أقسام الحائط

وأما الأقواس او الحنايا والقباب فمن الآجر الطبخ وهو نوعان (الاول) حجمه
 $٢٣ \times ١٥ \times ٤$ سنتيمترات و(الثاني) $٢٦ \times ١٩ \times ٦$ سنتيمترات

وأما نصفا القبتين فيقومان على سطح كثير الزوايا متجهة نحو القاعة المربعة وفي كل زاوية
 من زاويتي نصف القبة كوة داخلية مقنطرة بـ ٤٥ درجة وبينهما كوة صماء تقع فوق الباب
 ومن فوق ذلك نصف القبة الحسن الشكل البارح البناء . اما سمك حيطانها — من الارض
 حتى نصف الحائط — فغريب من ٤٥ سنتيمتراً (١٩ + ٢٦) سنتيمتراً، ومن منتصف الحائط الى
 فوق يأخذ الحائط في الرقة حتى يصبح ٢٦ سنتيمتراً فقط وانما صنع هذا به ليسنى له ان يماشي
 سمك قوس نصف القبة . واما القبة فيظهر انها كانت مبنية على هذا النمط المعين الذي رأيناه
 في بناء نصفي القبتين ، وينبغي ان يلاحظ ان براعة الباني قد تجلت في القسم الذي يصل
 نصفي القبتين بالقبة العظمى فقد راعى في ذلك اموراً فنية جد دقيقة ^(١) . وحيطان القبة
 والغرفتين وبقيّة الحيطان مكسوة بقشرة رقيقة من الجص الأبيض غطت الحجارة الصغيرة
 المختلفة التي بني بها البناء

﴿نقوشها وزخارفها﴾ : زخارف القبة ونقوشها محدودة جداً . واذا صرفنا النظر عن
 البراعة في بناء نصفي القبتين والكوى والاطارات الجصية البديعة التي تحيط بالشبابيك
 والحراب، لم نجد شيئاً يذكر سوى الزخارف الكتابية وهي زخارف كتابية كوفية مخطوطة
 بالصيغ الأزرق المائل الى السواد بقاعدة فنية عجيبة في هندستها وقد نشرت في كتاب
 Les Monuments Ayyoubide وهي :

«بسم الله الرحمن الرحيم إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
 وسلموا تسليماً صدق الله العظيم» . ويظهر ان اسم الطواويس والطاوسية قد جاء هذه القبة
 من رؤوس «الأنفات» التي تشبه ذيول الطواويس

﴿مزاياها وخصائصها الفنية﴾ : كان لهذا المعهد مزاياه الفنية الكثيرة — فضلاً عن قيمته
 التاريخية — لأنه أقدم أثر اسلامي في دمشق ولأنه الأثر الوحيد الذي يرجع الى العهد
 السلجوقي ولأنه يمثل لنا نوعاً من طراز البناء السوري الاسلامي الذي يمتاز بطابع خاص ،
 وليت دمشق كانت تحوي آثاراً أخرى ترجع الى تلك الفترة حتى نستطيع أن نقبين شيئاً

واضحاً من المزايا والخصائص الفنية للبناء السوري الاسلامي في العصر السلجوقي ، ولكن إن لم يبق شيء من تلك الحقبة فإن في الآثار التي جاءت من بعدها بقليل — كما نثار نور الدين — لنوراً يضيء لنا السبيل ويبين لنا شيئاً من طرز البناء السوري وزخرفته في العصر السلجوقي يقول الأستاذان سوفاجة وايكوشار « إن تعيين مزايا هذا المعهد العمرانية عسير جداً لأمرين (أولهما) تداعي البناء تداعياً واضحاً يمنع تبين تلك المزايا (وثانيهما) ان الثروة الاسلامية في الفن المعماري في الشرق الاسلامي لما تزل معالمها غير واضحة لنقص كثير من النواحي الفنية ولعدم الاتفاق على الخطوط التي تبين مزايا كل قطر اسلامي وخصائصه التي يميزه عن الاقطار الاخرى ولكن مهما يكن من شيء فإن قبة صفوة الملك التي أثرت في قباب بنيت بعدها — كقبة البيمارستان النوري وقبة التربة والمدرسة النورية — هي من نمط القباب العراقية والفارسية وليس في هذا شيء من الغرابة فإن السلاجقة جاءوا الشام من تلك المناطق الشرقية. ثم ان هذا الدليل يقوى ويشد اذا عرفنا ان هذا النوع من القباب المخروطية ذات القباب النصفية في جانبها ، نجده في مدخل البيمارستان النوري وقد بني بعد قبة صفوة الملك بنحو نصف قرن ، ويستنتجان من هذا ان القبة التي كانت فوق قبة صفوة الملك كانت من تلك القباب المخروطية ذات النخاريب *de forme conique chargée d'alveoles* وكذلك ينبغي أن يُفتش في العراق عن أصل القبتين النصفيتين الواقعتين الى جانبي القبة العظمى ، فليس من شك في أن هذا نمط عراقي وانه متأثر بالقباب الفارسية القديمة ^(١) ثم ان هذا النوع من الآجر الذي بنيت به القبة وحيطانها هو آجر عراقي الاصل ، وليس من شك في انه جاء الشام من العراق كما جاء الشام من العراق كثير من ضروب الحضارة والعلم والفن . ثم ان نمط بناء أقواس قبة صفوة الملك هو نمط عراقي لأنها أقواس ذات فلتقتين *(lobé)* وهذا النمط موجود بكثرة في قصر الأخيضر العراقي وفي جامع ^(٢) أما الزخارف الكتابية فإنها من نمط كتابات بني سلجوق وبني بوري في الشام ولكنها تمت بصلات قوية الى الكتابات الشرقية وخصوصاً في طريقة كتابة « الالفات » وزخارفها ^(٣) والخلاصة ان هذا المعهد يبين لنا كثيراً مما أخذته الفن الاسلامي السوري من المشرق كما انه يبين لنا ان الاثر السوري الوحيد فيه هو تلك القطعة الحجرية السوداء التي كان العمال السوريون ينفلون به الاقواس وهذا ما نجده في قفل قوس باب قبة صفوة الملك وما بعدها وقد بقي هذا الاثر في البناء السوري على صور متعددة وخصوصاً في عصر المماليك ولعل السر في ذلك هو وجود الحجارة السود الجميلة في « الكسوة » بالقرب من دمشق

(١) انظر كتاب Les Monuments Ayyoubides ص ١١ والملاحظة رقم ٢٥ و ٢٧ من الصفحة نفسها (٢) انظر ٢١ ص Bell, Palace and Mosque at Ukhaider (٣) انظر دائرة المعارف الاسلامية مادة « Arabesque »

الذئب واللام

لجبران النحاس

حكاية مشبهة في ما أرى وعد فرسا أن تؤاخي هتلا

الذئب قام مرة يرتاد فأرهدف الأنف لها والسمعا
يبحث عن فريسة تصاد أنس قرب منزل منفرد
وبينا في الغاب كان يسعى تهدده اللم إذا تسغي
تهميم أم وبكاء ولد كف عن البكا ونم قيرا
سريره وهي تقول يا ابني اصطد لك الداحة والعصفورا
يهجم ذئب صائحا هاتي الصبي ان كنت لم تسكت فعند المغرب

فعند هذا الذئب خسر ساجدا مستغفرا من الخراف انه
مسيحا باري الوجود حامدا وقال يا من يستجيب الداعي
في ما مضى أساء فيها ظننه يا من كسا السباع من أوبارها
الظن الى ذئابك الجباع من كان للعاني الفقير راحما
وأشبع الزهاد في قفارها يا رازق الخلق بلا حساب
إرفق بذي لا يزال صاعما أشفيق على اللم التي تصلي
حبست رزقي خلف هذا الباب وانفي بأمره طبيب
ونجها من صوت هذا الطفل وأنت نعم السامع المجيب

والطفل كان عندها قد مكثا فاختبئي أنت معي تحت اللحف
وقال يا ماما اذا الذئب أتى أني معيدة لهذا الضيف
قالت له نم يا بني لا تخف أني معيدة لهذا الضيف
معوثة الله وحده سيني

ميلاد الشاعر

لصالح البكبي

وحدي أنا يا رب وحدي نشوان من سأم وزهد
وحدي كأن الشمس لم تطلع على الدنيا بوعد
وحدي ولو أن الربيع مصفق والنور يهدي
ومطارح الآفاق أنغام تلوح لي برغد
والورد من حولي مدى الآفاق يخفق فوق ورد
أنا والشتاء أسومه ويسومني برداً يبرد
وحدي فما الانسان لي بأخ ولا هو لي بجد
أنا لست من هذا التراب ولست من حسد وحقد
فلقد تركت وعشت في ملاء من الأحلام فرد
وقطعت ما بيني وبين الأرض من صلة وود

[عن «الجمهور» البيروتية]

نظرة في علم البيان

على جوانب الاحكام البيانية ثغرتان يجب ردمهما
ارجاع قوالب الكلام البليغ الى اجناس قليلة

لادوار مرقص

من اعضاء المجمع العلمي العربي

كل من مارس علم البيان العربي بفنونه الثلاثة المعاني والبيان والبديع وتأمل ملياً احكام هذه الفنون في كتبها القديمة والحديثة راقه ما هناك من دقة وحسن تبويب وتفصيل وأدهشه ما يقف عليه من المثل والشواهد النفيسة التي تعد بالآلوف وأكبر همة أولئك الأسلاف الكرام من علمائنا وما أبدوه من فطنة شاسعة وخبرة واسعة ان علماءنا القدماء في آداب لساننا العربي أدوا في هذا السبيل الجليل ما كان مأمولاً منهم ومنتظراً . بل زادونا في الفرعيات أشياء طيبة جاوزت حد ما أملنا وانتظرناه . وليس معنى ذلك انهم بلغوا الكمال في ما توخوه فالكمال لكل علم وفن وصناعة لا يرجى بلوغه او مجاورته عن يد فئة واحدة من العلماء لعصر أو عصرين بل يتم ذلك رويداً رويداً على أحقاب متطاولة . ومن ثم لم يكن بد من وجود مواضع استدراك في علم البيان عندنا . والذي أرمي اليه في مقالي الحاضر الاشارة الى موضعين : الموضع الاول التداخل في مباحث علم البيان . والموضع الثاني اقتصار الاحكام البيانية عندنا على جزئيات حسن الاداء والانشاء ضاربة صفحاً عن كلياتها . ويضاف الى موضعين النقد هذين مطلب جديد استخرجته بطول الملاحظة والاستقراء ويقوم بارجاع القسم الاكبر من محسنات الكلام وطرق البلاغة الى ثلاثة أركان هذه هي المواضع التي يجدر بالمتأخرين ان ينتبهوا اليها ويعملوا بموجبها لا ان يكتفوا باجتناء قرائح من سبقوهم ثم يحمّدوا جوداً سيئاً يخالف على خط مستقيم نشاط الحركة والدوران لما يكتشفهم من مكان وزمان وأحوال

التداخل في مباحث علم البيان

هذا التداخل أشرت اليه في كتابي «كفيل البيان والشعر» الذي طبعته سنة ١٩٣٤ حيث قلت:
ان في كتب علم البيان عندنا اي فنونه المعاني والبيان والبديع تداخلاً ليس له وجه

مديد بل هو مدعاة تشويش واعنات للذهن ولعل علماءنا ينتبهون الى معالجته فيزيلوا مواضعه او ينبهوا اليها الدارس ويجعلوه على بصيرة من امره . فمن مواقع التداخل نوع البسط والإشباع في البديع فليس الا من باب الاطناب في المعاني . ومثل ذلك الاحتراس والايفال والتتميم فهي من الاطناب ايضاً . وقد ذكرت في المعاني والبديع والقلب في باب مخالفة مقتضى الظاهر من ابواب المعاني وهو نفس التشبيه المقلوب في البديع . والاستعارة التهكمية في باب المجاز المفرد من فن البيان المذكورة ايضاً في باب المجاز المرسل من هذا الفن لانها هي نفسها التي قوامها تسمية الشيء باسم ضده ومذكورة في البديع باسم التهكم . ثم ان المجاز والكناية والاستعارة والتشبيه هي أجناس كثيرة الفروع تستغرق فن البيان بجملة وتفصيله . وقد وفاها هذا الفن حقها من التقسيم والتمثيل فما معنى اعادتها باسمائها في فن البديع باعتبارها أنواعاً بديعية كغيرها من تلك الجزئيات مع انها أجل شأنًا من ذلك بكثير فهي مصدر وأساس قسم كبير من الأنواع البديعية

اقتصار الاحكام البيانية على جزئيات حسن الاداء

ان في هذا الاقتصار لتقصيراً غريباً . ولكنه لأول ظهوره لم يكن على شيء من الغرابة إذ كان هم أئمة الأدب العربي مصروفاً الى اظهار الاعجاز والمعاني الدقيقة في القرآن الكريم دالين المتأدين على ما هنالك من الجزئيات والمعاني المكتسبة في تقديم وتأخير . أو حصر وإطلاق . أو ذكر وحذف . أو إطناب وإيجاز . أو وصل وفصل . مع الاغراض التي يمكن تحصيلها على طريق النداء والاستفهام والامر والنهي . وقد أضافوا الى ذلك تفصيل وجوه التشبيه والاستعارة والكناية والمحسنات الناشئة عن ترتيب أو ادماج أو تورية أو مشاكلة أو طباق أو مغايرة أو مراعاة نظير الى آخر ما هو مدوّن في كتب المعاني والبيان والبديع . فاذا وقف عليها الدارس تقطن لحاسنها وللأغراض الثانوية التي تحتها في القرآن وفي غير القرآن من كلام الفصحاء والبلغاء . هذه هي الغاية الكبرى التي قصدها أئمة علم البيان عندنا ووضعوا أساسه وقد قاموا بقسطهم ذاك خير قيام

أما وقد تكون شيئاً فشيئاً من مدوناتهم النفيسة تلك علم عظيم سميناه علم البلاغة فأصبح من الواجب على المتأخرين أن يوسعوا نطاقه ويستدركوا ما فاتته لأجل تعميم نفعه للطلاب وإيصال أثر أحكامه الى حاجات المنشئين في كل النواحي . وانما يكون ذلك بتتويج أبواب تلك الجزئيات بالمطالب السكاكية التي تشرف عليها جميعاً مع اظهار شروط ووجوه كل من تلك السكاكيات لتتضح الفروق بينها فلا يلتبس بعضها ببعض . فاذا وقف الدارس عليها ثم نظر في تلك الاحكام الجزئية الدقيقة التي تتناولها بلهافة كتبنا البيانية كان علمه ناضجاً

وسلاحه ماضياً في خوض ميدان البلاغة نظماً ونثراً

ان الاحكام الكلية التي أحض على بسطها وإيضاحها في كتب البيان هي ذكر ما لكل موضوع من الكلام من أسباب الحسن وشروطه والملاحظات والارشادات العديدة كان يورد المصنف هذه الامور المجلدة لما تجب مراعاته في باب المراسلات الودية . وفي باب المدح والتهاني والتعازي والاعتذار والعتاب والتنصل والتوصية ومخاطبة الرؤساء والمرؤوسين وفي تدبيج المقالات والمناظرات والمحاضرات على اختلاف أغراضها . فان اراد القوائد المتعلقة بكل باب من هذه الأبواب نراه متبعاً في كتب بيان الافرنج . ولا أنكر اننا نرى من ذلك شذرات متفرقة واشارات خفيفة في تضاعيف كتب الادب . ولكنه نصيب ضعيف لا يسد ثلمة ولا يشفي غليلاً . وأما المطلوب اراد تلك القوائد والارشادات منظمة تنظيماً حسناً مع ايضاح واشباع في أبواب متجاورة ثم اتباعها بما تعودنا أن نقف عليه في كتب بياننا من أحكام الحذف والذكر والتعريف والتنكير والاضمار والظهار ونحو ذلك ومن أنواع التشبيه والاستعارة والكناية وتلك المحسنات البديعية

واما أن نكتفي بهذه الجزئيات دون تلك الكليات فيجعل مثلنا مثل رجل دخل داراً فسيحة العرصات كثيرة الخادع والدهاليز والمستشرفات وكان يريد استخدام تلك الدار وسكنائها مع أفراد أسرته والتمتع والانتفاع بها متوخياً من ورائها رغد العيش وراحته . فأعرض عن النظر في أقسام الدار وتخصيص كل قسم بما يليق به بحيث تتميز غرف المنامة عن غرف الضيافة وتتميز هذه عن غرف المطبخ وتناول الطعام والاستحمام . أعرض عن النظر في ما ذكر وفي غيره من كيفية استخدام المسكن على أحسن الوجوه ولم يلتفت الى المواعين والاثاث التي تصلح لهذه الغرفة دون تلك . ولهذا البهو دون ذاك . أهمل الرجل هذه الكليات الجوهرية وحصر عنايته واهتمامه بفحص الجيد والريء من هذا القماش وهذه المقاعد الخشبية وهذه الأدوات النحاسية والزجاجية وتلك الصحن والقدر وما شاكل ذلك . والرأي السديد يقضي عليه بأن يعرف هذه التفاصيل ولا يعرض عن شيء من مقتضيات تلك العموميات الشاملة . وهكذا يجب ان يكون علم البيان وهو علم البلاغة

ارجاع طرق البلاغة الى ثلاثة أركان

فرغت من ذكر الثغرتين اللتين يجب ردمهما في كتب البيان عندنا وهما التداخل في مباحث علم البيان . واقتصار الاحكام البيانية على جزئيات حسن الاداء . وبقي علي أن أورد المطلب الثالث الذي أشرت اليه في صدر هذا المقال
راعني وحز في صدري سنين طويلة ما رأيته من كثرة الاسماء لقوالب الكلام البليغ

المنصوص عليها في علم البيان ولا سيما أسماء المحسنات المعنوية واللفظية في فن البديع . ومع اني أحد الافراد القلائل الذين حفظوا تلك الأسماء وتبينوا مسمياتها ووقفوا على تعريفاتها وشواهدا ومثلها كنت أحس من نفسي أنه لا يزال يفوتني شيء غير يسير بما ذكر وكما عنت بحفظ هذا الجانب نسيت جانباً آخر يعادله أو يقاربه . هذا الذي جرى لي ولم أتهم نفسي لأجله بقصور ولا تقصير اذ علمت علم اليقين ان معظم المشتغلين باللغة العربية هم من هذا القبيل على مستواي أو دون مستواي . ولنا بذلك ملء العذر فمن الذي تسمح له همته وأوقاته معاً بأن يستوعب هذه الناحية الصغيرة من آداب لغتنا فيحفظ نحو مئتي اسم لمئتين من الأنواع والأبواب مع تعريفاتها وشواهدا ومثلها وفوارق الملتشابهات منها . والقسم الأكبر من هذا العناء الطويل العريض ليس تحته طائل كبير وما أشبه هذه المحفوظات بالخروب البرّي نتناول منه عشر أقات فلا نستخرج منها الا عشرين درهم دبس . صدقوني ان عناء هذه المحفوظات يعادل أو يجاور عناء درس واتقان علمي النبات والحيوان معاً على ما فيهما من أسماء الأجناس والأنواع والفصائل . فهل من الحق والصواب أن يضحي بهذا المبلغ من الجهد والزمان لأجل تلك الناحية الثانوية من آداب لساننا العربي . وان رضينا بهذه النصيحة فأية بقية ندخرها لسائر نواحي الأدب الجوهرية كمتن اللغة وتاريخ العلماء والأدباء ومعضلات الصرف والنحو وغير ذلك

فكرت ملياً في هذا المأزق الذي فيه ما فيه من دواعي الحسرة واعانت الذهن ثم قلت في نفسي ان القوم قضوا من الزمان قرنين أو ثلاثة قرون وهم يتنافسون في استخراج أكثر ما يمكنهم من تلك القوالب للكلام البليغ واعطاء كل قالب اسماً حتى أوصلونا الى ما نحن فيه . أفلا يمكننا يا ترى مع اعترافنا بفضلهم في السبق واغترافنا من بحر فوائدهم أن نجري على ما يخالف نهجهم . وبعبارة أوضح أن نخالف طريقهم وان شاركناهم وحرصنا مثلهم على الغاية المقصودة من عناء السير وهي الإفادة واكتساب ملكة البلاغة . ألا يجوز أن نخالف طريقهم وذلك بأن نجعل ما فضلوه ونعمم ما خصصوه لأجل تمهيد السبيل وتقريب المنهل على الواردين . ألا يمكننا أن نوزع هذه الأنواع أو معظمها أو أسماها شأننا وأطبيها أثراً على بضعة أجناس تنضوي اليها وتنطوي تحتها . جعلت هذا الهدف نصب عيني وأعملت النظر على هل في قوالب البلغاء فرأيت القسم الأكبر منها يمكن ارجاعه الى ثلاثة أركان هي :

الموافقة والمخالفة وحسن الترتيب

فعن الموافقة ينشأ التشبيه والاستعارة والكناية ومراعاة النظر وإيهام التناسب والاشتراك والتورية والمشاكلة والتدبيج والاستخدام والجناس بأنواعه والموازنة ولزوم

ما لا يلزم والتصدير والتضمن والابهام والتوجيه وغير ذلك وعن المخالفة ينشأ الطباق وابهام التضاد والمقابلة والمغايرة والقول بالموجب والاستدراك والاستثناء وعكس الجمل وما لا يستحيل بالانعكاس وتأكيده المدح بما يشبه الذم وتأكيده الذم بما يشبه المدح والتفريق والمراجعة والجد في معرض الهزل وغيرها

وعن حسن الترتيب ينشأ الجمع والتقسيم والجمع مع التقسيم والجمع مع التفريق والتفريق والطبي والنشر والمزاوجة والاطراد والتوسيع وتناسق الصفات والادماج والاستتباع وأشباهاها وهذه القوالب التي ذكرناها تستغرق من فن البيان وفن البديع ثلاثة أرباعها على وجه التقريب . وأما فن المعاني فيدخل معها من مباحثه القوالب المنصوص عليها في باب مخالفة مقتضى الظاهر وهو آخر أبوابه . وأما سائر محتويات المعاني فمعظمها يحسب تنمة دقيقة لكثير من مباحث علم النحو فهو بنجوة عن ميدان البيان والبديع

والمقام الحاضر لا يسمح لي بإيراد الكثير من الأمثلة والشواهد على صحة ما زعمته من إرجاع قوالب الكلام البليغ إلى الأركان الثلاثة الموافقة والمخالفة والترتيب مما أقدمت عليه وأوردت الحجة الكافية لكل فئة من فئاته في كتابي « كفيل البيان والشعر » وإنما يسمح لي بإيراد الشيء اليسير من الأمثلة . واللييب يمكنه بالاستقراء أن يقيس على ما ذكر ما لم يذكر ولعله من الكافي أو القريب من حد الكفاية أن نورد لكل ركن من الأركان الثلاثة التي ترجع إليها معظم القوالب أربعة أمثلة لأربعة قوالب فقط ولنبدأ بالركن الأول وهو الموافقة موردين من الأنواع أو القوالب المنتظمة في سلك

التشبيه والكنائية ومراعاة النظير والتورية

التشبيه ركن عظيم من أركان فن البيان وحقيقته إلحاق أمر بأمر آخر لوجود علاقة بينهما نحو قولك : « كلمة الحق سيف مسلول على أهل البطل » مشبهاً كلمة الحق بسيف مسلول لعلاقة بينهما نسميها وجه الشبه . وهذه العلاقة في العبارة هي التهديد والايلام . فكأن السيف يهدد ويؤلم المسلول عليه تهديد كلمة الحق وتؤلمن توجه إليه أهل من البطل . والتشبيه على اختلاف أقسامه مبني على شيء من الموافقة بين أمرين لوحدة أمور كاتفاق السيف وكلمة الحق في التهديد والايلام في المثال السابق . وما يقال في التشبيه من هذا القبيل يقال في الاستعارة وهي أيضاً ركن آخر عظيم من أركان فن البيان ولا تحسب عند التحقيق إلا تشبيهاً مختصراً أي محذوفاً منه المشبه أو المشبه به مع إيراد قرينة تبين المراد من العبارة نحو قولك :

« استضيئوا « بالعلم » فأصل العبارة « العلم كالنور فاستضيئوا به »

والكنائية ركن مهم أيضاً من أركان فن البيان وهي لفظ أريد به لازم معناه أي الامر الذي يستلزمه معنى اللفظ الظاهر كقولك : « فلان عريض المنكبين مفتول الذراعين مكتنز

العضلات وأنت تكفي بذلك عن قوته لأن هذه الصفات تستلزم قوة الجسم في صاحبها .
وبديهي أنه لا بد من موافقة بين كل أمرين يستلزم أحدهما الآخر . فالكناية لا بد ناشئة
بجملتها عن الموافقة

ومراعاة النظر نوع من البديع يقوم بإيراد ألفاظ مشتركة في باب واحد أو موضوع
واحد . وهذا الاشتراك هو نوع من أنواع الموافقة . ومن أمثلتها قول عنترة العبسي
حصاني كان دلال المنايا نخاض غبارها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طيباً يداوي رأس من يشكو الصداعا
ولا يخفى أن الدلال وخوضه سوق الشراء والبيع أمور تندمج في طائفة واحدة .
والطبيب والمدواة والصداع وشكوى المصدوع تندمج في طائفة أخرى . فالموافقة ظاهرة
في كل من هذين البيتين

والتورية نوع من البديع جليل القدر وحقيقته أن يذكر لفظ له معنيان قريب وبعيد
فيراد البعيد منهما ويورى أن يستر بالقريب . ومن التورية قول القائل
قالت اذا كنت ترجو وصلي وتحشى نفوري
صف ورد خدي والّا أجور ناديت جوري
فالتورية واقعة في لفظة « جوري » التي معناها أظلي من الجور وهو المعنى القريب .
ومعناها أيضاً ورد جوري مما يعد أحسن أنواع الورد وهو المعنى البعيد المقصود . والتورية
ناشئة عن هذه الموافقة أي موافقة لفظ واحد لمعنيين

فرغنا من التمثيل عن الركن الاول وهو الموافقة ولنذكر الآن الركن الثاني وهو المخالفة
موردين أربعة أنواع أو أربعة قوالب تنتظم في سلكها وهي الطباق وعكس الجمل وتأكيد
المدح بما يشبه الذم والتفريق . فالطباق أو المطابقة أو التضاد هو ذكر ألفاظ متضادة في
معناها على سبيل التزيين كقول القائل :

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الامر
وارجاع هذا القالب الى حظيرة المخالفة أوضح من أن يحتاج الى ذلك

ومثل ذلك في الوضوح عكس الجمل نحو قولهم : « كلام الملوك ملوك الكلام »
وتأكيد المدح بما يشبه الذم كقول صاحب هذا البحث راثياً أحد الفضلاء :

لك الله من فاضل لم يكن بأوصافه الزهر شيء يذم

سوى أنه كان ينسي الجليس كل أب وأخ وابن عم

فهذا الكلام بني على المخالفة ولو في ظاهر الأمر بإيراد حكم معين ثم استثناء ناحية منه

وأما التفريق فمن أمثله قول القائل :

فهم الفتي الأزدي في جمع ماله وهم الفتي القيسي دفع المغارم
والمخالفة ظاهرة في الفرق بين رجلين أحدهما يجمع ماله ويذخر لنفسه وآخر يبذله في سبيل
نفع الناس وتفرج همومهم

وصلنا الى الركن الثالث وهو حسن الترتيب فلنذكر من المحسنات المنطوية تحته الجمع
مع التفريق والطي والنشر والمزاوجة والاستتباع . اما الجمع مع التفريق فنه قول أبي تمام :
ولما دعاني البين وليت أذرعاً ولما دعاها طاوغتة ولبت
فلم أر مثلي كان أوفى بعهدها ولا مثلها لم ترع عهدي وذمتي
وأما الطي والنشر ويسمى أيضاً اللف والنشر فهو نوع بديعي يقوم بذكر أشياء متوالية
ثم ذكر ما يلائمها ومثاله :

هي حنيني أنيني رغبتني ولعي منهم اليهم عليهم فيهم بهم
يريد ان همه منهم وحنينه اليهم وأنينه عليهم ورغبته فيهم وولعه بهم . والمزاوجة ان
يرتب على امر في الشرط والجزاء ما رتب على امر آخر قبله . ومثاله :

اذا ما دعا الداعي فليجّ بي الهوى أصاغت الى الواشي فليجّ بها الهجر
فان حسن الترتيب ظاهر في هذه الأمثلة وهو معدنها وموجتها ولا يخرج عن سلطانها
الاستتباع ايضاً فهو نوع بديعي يقوم بإيراد وصف شيء على صورة تستتبع وصف شيء آخر .
والترتيب متأت عن هذا الاستتباع . ومثاله قول الجني :

ألا أيها المال الذي قد أباده تسلى فهذا فعله بالكتائب

وقد دلني الاختيار الطويل على ان الأديب او المتأدب اذا خطر بباله وجعل نصب بصره
وبصيرته هذه الأركان الثلاثة أو المعادن الثلاثة لمحاسن الكلام وأنيق القول الموافقة
والمخالفة وحسن الترتيب أغنته عن الالتفات الى معظم تلك القوالب والانواع الكلامية التي
تتراوح بين ١٥٠ و ٢٠٠ نوع وساعدته على تزيين كلامه وتعزيز مراميه بالأجود الأطيب من
تلك الأنواع ولو لم يفكر فيها بالذات ولم يعرف أسماءها وتعريفاتها فيحمد مغبة خطئه
لا سيما اذا كان المقام الذي يتصدى له مقام شعر منظوم أو مما يجاور الشعر في تنبيه الخيال
واستثارة الشعور . ولا بأس ان نسمي كلامه حينئذ كما اصطلاح كثيرون شعراً منشوراً في
محاضرة او خطابة بل لا بد له أن يحتاج الى التأنيق وجمال الاداء في عدة مواضع من
مباحث العلم والعباسة والعمران والاجتماع . هذا الذي أراه وأعتقد بشأن علم البيان العربي
أدرجته في مجلتيكم الزاهرة موجهاً اليه أنظار خدام الأدب وأنصاره لعلمهم يرون فيه أو في
بعضه صواباً فيعملوا بمقتضاه . والله من وراء حسن القصد اللاذقية — سورية

الوفر لا العوز

عنوان العصر المقبل بفضل العلم

للعالم الكندي : فرانك لايد

نقلها : حسن السامان

ما عناصر الثروة الرئيسية التي وضعتها الطبيعة بين يدي الانسان ليزود نفسه منها بطعامه وبشرابه ، بلباسه وبما يقيه الحر والقر ، بلوازمه الضرورية وبالطاقة التي يستنزفها لتحقيق حاجة من حاجاته أو متعة من متع هذه الحياة ؟ يرجع الانسان الى ثلاثة مصادر للحصول على ما يحتاج اليه ، هي أديم الارض وبحارها وما يحيط بها من الهواء . اما تربتها فتزوده بطائفة من العناصر ليست بقليلة العدد . والجدول التالي يتضمن أهم العناصر الفلزية واللافلزية التي يكثر وجودها في القشرة الأرضية مرتبة بحسب كثرة وجودها في طبقات الارض . ونظرة واحدة الى هذا الجدول توضح ان مقادير الألمنيوم والحديد والكالسيوم والبتاسيوم والصوديوم والمغنيزيوم وافرة تبعث وفرتها على اطمئنان أهل الصناعة وتشجعهم على الاستيئاق من أن العالم لن تعوزه يوماً ما هذه العناصر مهما تنسع صناعاته ومهما تكثر المواد المستحضرة منها

الجدول الاول : نسب العناصر في القشرة الأرضية

العنصر	بالماية	الفلزات	العنصر	بالماية	اللافلزات
الألمنيوم	٧ر٩٦	النكل	٠ر٠٣٣	الأكسجين	٤٧ر٧٧
الحديد	٤ر٤٤	السترونتيوم	٠ر٠٢	السيليكون	٢٧ر٢٥
الكالسيوم	٣ر٥١	الكروميوم	٠ر٠١	الايدروجين	٠ر٢٢
البتاسيوم	٢ر٤٨	النيحاس	٠ر٠٠٧٥	الكربون	٠ر١٩
الصوديوم	٢ر٤٧	الزنك	٠ر٠٠٤٠	الفسفور	٠ر١٠
المغنيزيوم	٢ر٢٨	الرصاص	٠ر٠٠٢٠	الكبريت	٠ر١٠
التيتانيوم	٠ر٤٧	الفضة	٠ر٠٠٠٠١	الفلورين	٠ر١٠
المغنيز	٠ر٠٩	الذهب	٠ر٠٠٠٠٠٠٥	الكالورين	٠ر٠١
الباريوم	٠ر٠٨	فلزات أخرى	٠ر٢٠	لا فلزات أخرى	٠ر٢١
		المجموع	٢٤ر٠٥	المجموع	٧٥ر٩٥

اما النحاس والزنك والرصاص فلا تزيد المقادير الموجودة منها عن ٠.١ بالمائة مما تتألف منه قشرة الارض ومع ذلك فان العقل الصناعي في هذا الجيل لم يأل جهداً في ابتكار أساليب تحضيرها بأوفر قدر وبأخس ثمن . اما مستقبل هذه العناصر فمجهول . ويقدر العارفون انها ستنفد قبل نهاية المائة العام القادمة ، ان لم تكشف مناجم جديدة لهذه العناصر او ان لم تختراع أجهزة جديدة او تبتكر أساليب حديثة لتحضيرها من رواسب تحتوي مقادير قليلة منها لا تمكننا أجهزتنا وطرقتنا الصناعية الآن من تحضيرها منها

ويؤلف عنصر الاكسجين والسيليكون ، وكلاهما من غير الفلزات ، ما لا يقل عن ثلاثة أرباع ما هو موجود في جميع التربة من العناصر . ومما هو جدير بالذكر ان هذين العنصرين يتحدان فيكونان الطبقات الرملية والطينية والصوانية للقشرة الارضية . وتوجد اللافلزات الاخرى — والوارد ذكرها في الجدول الآنف الذكر — في مقادير تكفي حاجة ابناء هذا الجيل وربما تكفي لسد حاجة ابناء الاجيال القادمة ايضاً . ولا خوف من نفاد عنصر الكالورين الذي تقل نسبة مقاديره عن سائر اللافلزات الاخرى ، لانه يؤلف ستين بالمائة من مجموع مقادير كلوريد الصوديوم — ملح الطعام — المذاب في ماء البحر . وما أكثر مياه البحار وما أبسط طرق تحضيره منها .! كذلك لا خوف من نفاد البتاسيوم والفسفور وهما العنصران المهمان لتغذية النباتات ، لأنهما كثيراً الوجود في الطبيعة

أما مياه البحار فهي المصدر الثاني من مصادر المواد الحيوية للانسان ، وهي تحتوي على مقادير عظيمة من الاملاح الذائبة فيها . وقد صنفت عناصر هذه الاملاح بحسب مقاديرها الموجودة في الميل المكعب من ماء البحر في الجدول التالي :

الجدول الثاني : املاح البحار

العنصر	الاطنان / ميل مكعب	العنصر	الاطنان / ميل مكعب
الكالورين	٩٠.٠٠٠.٠٠٠	البتاسيوم	٣.٣٠٠.٠٠٠
الصوديوم	٥٣.٠٠٠.٠٠٠	الكالسيوم	٢.٤٠٠.٠٠٠
المغنيسيوم	٥.٧٠٠.٠٠٠	البرومين	٣١٠.٠٠٠
الكبريت	٤.٣٠٠.٠٠٠	اليودين	٢٠٠

اما المصدر الثالث من مصادر العناصر المهمة لحياة الانسان وبقائه ، فهو الجو بطبقاته المختلفة . والجدول الثالث يجمع العناصر الموجودة في الهواء مصنفة بحسب نسبة وجودها في الهواء الموجود فوق ميل مربع من سطح البحر . ولما كانت مساحة سطح الكرة الأرضية تزيد على مائتي مليون من الأميال المربعة فان البشرية في مأمن من نقص النتروجين وهو العنصر الضروري لبقاء ثروتنا الزراعية ولتزايد انتاجنا الصناعي . وليس بغريب ان نجد جو

الأرض يحوي مقادير كبيرة من غاز ثاني أكسيد الكربون ، فهو المركب الضروري لتغذية المملكة النباتية برمتها . أما العناصر الأخرى فإنها وإن كانت قليلة الوجود في الجو إلا أن الكيميائيين دائبون على ابتكار طرق جديدة تمكنهم من الاستفادة منها

الجدول الثالث : محتويات الهواء

العنصر المركب	النسب المئوية الوزنية	طن/ميل مربع على س . ب	العنصر المركب	النسب المئوية الوزنية	طن/ميل مربع على س . ب
النيتروجين	٧٥.٤٧٤	٢٢٣٦٩.٠٠	الايديروجين	٠.٠٠٧٠	٢.٠٧
الأكسجين	٢٣.٢٠٠	٦٨٤٥.٤٠	الكربيتون	٠.٠٠٠٢٦	٨٦
الارغون	١.٢٨٣	٣٧٨.٦٠	الهليوم	٠.٠٠٠٠٧	٢.٠
ثاني أكسيد الكربون	٠.٠٤٠	١١.٨٠	الكزينون	٠.٠٠٠٠٤	١٢
النيون	٠.٠٠١٢٥	٣.٧٠	المجموع	٩٩.٩٩٩٣٥	٢٩٥٠.٥١٩٥

٢ -

منذ نيف ومائة وأربعين عاماً نشر مالتوس أولى رسائله . ولقد استوقف بتلك الرسالة أنظار الناس ووجهها الى حقيقة ما كانوا يعرفونها من قبل ، تلك هي أن سكان العالم في تزايد مستمر بينما موارد الضرورية آخذة في القلة قلة مطردة . وقد راجت أفكاره هذه في مختلف الأوساط العلمية حتى أن بعض المفكرين لم يتردد في التنبؤ بأن البشرية صائرة الى يوم تقل فيه الموارد الضرورية للتغذية فتلتجئ الى التطاحن والتنازع على البقاء للحصول على ما تسد به رمقها

كان الانسان قبل هذا القرن يعتمد في زراعته الواسعة على الأسمدة الطبيعية — أي الأسمدة المودعة في التربة من مواد حيوانية ومواد نباتية . ومن البداهة ان الزراعة اذا ما اتسعت وعمت جميع البقاع الممكن زراعتها فإن انتاج المواد الغذائية سيبلغ ذروته العليا ، وهذا الاتساع سيؤدي حتماً الى استنزاف خصوبة الأرض ومن ثم الى تناقص الانتاج الزراعي وهذا الى قلة الاطعمة الضرورية للانسان . ومنذ ما نشر مالتوس نظريته تلك اتجه الانسان نحو البحث عن أسمدة جديدة لتكثير خصوبة التربة فاستطاع بفضل ما ابتكر من أساليب ، الحصول على مقادير وافية من أملاح البتاسيوم وفاز بتحويل الصخور الفسفورية الى أسمدة موزونة فوسفاتية سواء أبعاملة تلك الصخور بالحمض الكبريتيك كان ذلك أم بطريقة الاحماء الشديد . وفي خلال العقدين الاولين من هذا القرن كشف العلماء وسائل فريدة لاقتناص نتروجين الهواء وتحويله الى أملاح نتروجينية تستعيب بها التربة مما فقدته من المركبات النتروجينية ، وبذلك تمكن الانسان بثاقب عقله وبصدق عزمه وبطول صبره من الابتعاد عن الاخطار التي كانت محدقة به

في وسع البشرية مضاعفة منتجات الارض الزراعية ، لا بالاكثر من المركبات النروجينية وحسب ، بل بمضاعفة المقادير المستعملة من مركبات البتاسيوم والهامض الفسفوريك وبمعادلة الحوامض المتراكمة في التربة والناجمة عن تهرؤ المواد الحيوانية والنباتية ، وكذلك يتسنى لها ذلك بمزج الاسمدة الصناعية بمقادير مناسبة من مركبات الحديد ومركبات الكالسيوم والزنك والنحاس والكوبلت والكبريت والكلورين واليود والبورون . فقد أثبت التحليل ان فقدان هذه المركبات من التربة يؤدي الى تناقص المنتجات الزراعية . ومن حسن حظ البشرية أن أقبل كثيرون من أبنائها على دراسة الفنون الزراعية فكثرت المختصون بمعرفة مواعيد نضج النبات وثمره . فقد كانت الخنطة مثلاً لا تزرع الا في بعض المناطق المعتدلة ولكن بعد ان توصل الانسان الى استنبات البذور التي تستطيع مقاومة البرد في المناطق الباردة وتنضج منابله قبل سقوط الثلوج ، كثرت زراعة الخنطة حتى شملت أغلب المناطق الشمالية وبلاد المنطقة المعتدلة قاطبة

ومن الأمور التي تهدد النباتات وتقلل من انتاجها كثرة انتشار الحشائش والأعشاب التي تستنزف قدراً غير يسير من خصب التربة . فقد قدر الضرر الناجم عن هذه الحشائش في الولايات المتحدة وحدها بما يعادل الضرر الناتج عن الحشرات وعن الأمراض النباتية والحيوانية جميعاً . ودفعاً لهذا الضرر المتعاظم هبَّ أهل الزراعة الى مكافحة الخطر والقضاء على الحشائش الضارة قضاءً مبرماً . ومما ساعدهم في مهمتهم هذه كشف الكيميائيين الزراعيين أنواعاً خاصة من المركبات الكيميائية التي تبديد الحشائش وتتلغ النباتات غير المرغوب فيها دون ان يكون لها اثر ما في النباتات التي يزرعها الانسان لبقايات بحاصلاتها . ومن البداهة ان هذا العمل على ما فيه من مشقة لا يضاعف الانتاج النباتي وحسب بل يحسن أنواعه أيضاً

ولم يكن تقدم البحث في موضوع الامراض النباتية والحيوانية أقل من تقدم وسائل مضاعفة الانتاج . فقد ابتكر الباحثون اساليب تعقيم بذور الخنطة والبطاطس لتخليصها من بويضات الحشرات التي تفتك بنباتاتها . ويمكنوا كذلك من القضاء على الكوليرا التي كانت تفتك فتكاً ذريعاً بالخنازير ومن مكافحة السل المنتشر بكثرة بين مختلف انواع الماشية . وعلاوة على هذه فانهم عرفوا ان كثيراً من الامراض التي تفتك بالنباتات والحيوانات لا ترجع الى حيوانات طفيلية خاصة ، وانما ترجع الى فقد عنصر من العناصر الكيميائية من طعامها . فقد وجد مثلاً ان اضافة اقدار قليلة من البورون الى التربة تقي التفاح من اغلب الامراض التي تفتك بثماره وان اضافة مقادير معينة من الكوبلت الى طعام المواشي تقبها الاصابة بأحد أمراض نقص الغذاء

ولم تقف جهود الكيميائيين عند هذا الحد ، فهم ساعون الى تحضير المركبات الايدروكاربونية في مختبراتهم من المواد السلوزية او من الماء والمركبات الكاربونية الأخرى . فان مكنتهم الأقدار من كشف هذا السر المعقد فسينتصرون على كثير من اخطار العوز والفاقة التي تهدد المدينة

— ٣ —

كان الانسان في اول تحضره يعتمد في لباسه على جلود الحيوانات . وبعد ان ارتقى في سلم الحضارة استعاض عنها بالانسجة النباتية والانسجة الحيوانية ، وبذلك تمكن من ان يقي نفسه تبدلات الجو دون كبير عناء

والقطن من أهم تلك الانسجة النباتية واكثرها فائدة للانسان وما زال النسيج النباتي يحتل المقام الاسمي في صناعة الاقمشة ، وما يتبعها من الصناعات . وتبلغ المقادير التي تستهلكها مصانع الاقمشة منه بثلاثة اضعاف ما تستهلكه من الانسجة النباتية الاخرى والانسجة الحيوانية جميعاً . اننا لا نريد ان نتطرق هنا الى ذكر جميع البلاد التي تشمل فيها زراعة القطن مساحات واسعة ولكن لكي نصف للقارئ منزلة هذا النبات حسبنا ان نذكر ان مجموع ما تنتجه الولايات المتحدة الاميركية من هذا النبات يقدر بنصف مجموع ما ينتجه العالم بأسره ، وتبلغ المساحة التي يزرع فيها هذا النبات في تلك البلاد وحدها ثلاثين او اربعين مليون فدان ، وليست هذه المساحة الا جزءاً قليلاً لا يزيد على ٢ ٪ من مساحة البلاد برمتها . ومن هذا يتضح ان الارض لن تضيق بزراعة القطن وان الولايات المتحدة الاميركية وحدها تتمكن من زراعة ما يكفي لسد حاجة ثلاثة او اربعة امثال سكان المعمورة

وليس امر الصوف بمختلف عن امر القطن ، لكننا اليوم لا نعتمد على الانسجة الطبيعية كل الاعتماد ، ففي الخمسة والعشرين عاماً الماضية تمكنت البشرية من كشف سر تحضير الانسجة الصناعية . ففي عام ١٩٢٠ بلغ مجموع ما انتجته معامل الولايات المتحدة الاميركية من الحرير الصناعي — ريون — عشرة ملايين رطل ، وفي عام ١٩٣٧ تضاعف هذا المقدار حتى بلغ ثلثمائة مليون رطل . وهكذا أنشأت الصناعة الحديثة للبشرية مورداً جديداً للباسها يكفي لكسو عدد من الناس يعلمه الله

ويقدر ما تنتجه غابات العالم من الاخشاب ثمان وثلاثين الف مليون من الاقدام المكعبة وما من شك في القدرة على مضاعفة هذه الكميات عشرات المرات اذا ما وجه الانسان عنايته نحو الغابات فحال دون تلفها او القضاء عليها . واذا ما أجهد الانسان نفسه واستعمل الاساليب

العلمية في الاكثار من تشجير الغابات وفي انماؤها فستدر عليه كميات من الاخشاب تكفي حاجة اضعاف سكان هذا العالم

ويستمد الانسان الطاقة التي يحتاج اليها في حياته العامة والخاصة من الفحم الحجري ومن النفط والغازات الطبيعية ، وكذلك يستمد جانباً ليس بيسير مما يحتاج اليه من الطاقة من الاخشاب ومن الشلالات ومن المياه المتساقطة من اعالي الجبال . ويجمع الاختصاصيون الفنيون على ان الفحم الحجري المحفوظ في أطباق القشرة الأرضية يكفي لسد حاجة العالم خمسة آلاف عام على أقل تقدير

وفي حالة تعذر تعدين جميع ما في الأرض من الفحم الحجري فان المقادير التي يسهل تعدينها تكفي حاجة العالم الصناعي بضع مئات من السنين

وتنتج الولايات المتحدة ٦٠ ٪ من مجموع ما يتطلبه العالم من النفط وتستهلك تلك البلاد القدر الأكبر مما تنتجه منه . وكان يظن في اوائل هذا القرن ان موارد النفط لن تكفي حاجة العالم وانها ستنفد بعد ثلاثين عاماً ، ومع ان استهلاك العالم لهذه المواد لم يتناقص بل زائد وتضاعف فان المقادير المودعة في جوف الأرض منها ما زالت كبيرة جداً ويظن انها تكفي حاجة العالم مدة قرن آخر او يزيد . وما دام يكثر الحجر اللين المسمى شيل Shale المشبع بالزيوت المعدنية فلا خوف من نفاد هذا النوع من الوقود . ولرب قائل يقول ان كثرة التكاليف ستحول دون استخراج الزيوت المعدنية من هذا الحجر ، وجوابنا على هذا ان تلك التكاليف لن تكون باهظة فعندما يقل وجود الزيت وتكثر الحاجة اليه تبتكر الأساليب العلمية الوافية . وهناك في مقاطعة البرتا وحدها مقادير عظيمة من الترسبات الرملية المشبعة بالقار تكفي حاجة العالم بضعه قرون ، وفوق ذلك كله فان لدى الكيميائي من الفحم الحجري والسايلوز ما يمكنه من تحضير مقادير عظيمة من النفط الصناعي ومركباته

وليس من السهل علينا تعيين الطاقة التي يمكن ان تستمد من الشلالات . الا ان الفنيين يقدرون ان شلالات روسيا السوفيتية تولد ما يربى على ثلاثة ملايين حصان ميكانيكي ، ويقدر ما يمكن توليده من شلالات سيبيريا بنحو ١٦٥ مليون حصان . ويقدر ما تستطيع الحصول عليه بريطانيا من هذه الطاقة بثمانية وستين مليون حصان اكثرها من شلالات كندا . وتولد شلالات الولايات المتحدة خمسة وخمسين مليون حصان والبلاد الاسكندنافية اثنين وعشرين مليون حصان ميكانيكي . ولا ريب في ان هذا المصدر للطاقة سيغني العالم عن المصادر الاخرى اذا ما استغل تمام الاستغلال ذلك لانه يمتاز على غيره من المصادر بأنه دائم الانتاج انتاجاً

ثابتاً لا يتغير . إلا أن الفائدة من الشلالات تتوقف على مبلغ جريان المياه المتساقطة وعلى درجة تنظيم ذلك الجريان

وهناك مصدران مهمان للطاقة لم يستغلها الإنسان بعد وهما الرياح ومياه المد . فالطاقة المودعة في الرياح عظيمة جداً وموزعة في طول الأرض وعرضها ومع ذلك فإن الاستفادة من تلك الطاقة تقتضي نفقات باهظة لا قبل للإنسان بها بعد . والرياح لا يمكن الاستفادة منها إلا في فترات يشهد فيها هبوبها . والامل المعقود على الطاقة المودعة في الرياح كبير جداً والمهندسون يفكرون في الركون الى هذا المصدر المهم عند ما تقل موارد النفط ويشرف الفحم الحجري على النفاد . وهم لم يؤثروا جهداً في البحث عن وسائل عملية لحزن الطاقة المتولدة من الرياح للاستفادة منها عند ما تبدأ سورة الرياح وتسكن شدة حركتها . أما مياه المد فأنها وإن كانت مصدراً لطاقة كبيرة إلا أن اختلاف درجتها باختلاف ارتفاع السواحل صرف اذهان الباحثين عن الاستفادة من الطاقة المودعة فيه

ويرجع الاصل في جميع هذه المصادر الى الطاقة المشعة من الشمس ، وهذه الحقيقة هي التي دعت الباحثين الى التفكير في ابتكار وسائل للاستفادة من طاقة الشمس استفادة مباشرة وإن ذلك وإن بدا ممكناً إلا أن نفقته كبيرة جداً . وفي مقدمة من يحاول الاستفادة من الطاقة المشعة من الشمس هم علماء كلية الهندسة بماساتشوستس ، فيقولاء العلماء لا يدعون طريقة كيميائية أو فيزيائية أو أحيائية لتعجيل سرعة نمو الاشجار إلا واتبعوها . ان الحرارة المنبعثة من الشمس عظيمة جداً لا يمكن ان تقاس بمقياس إلا أن أكثرها يتبدد دون الاستفادة منه . ولكي يرسم الأستاذ كتون رئيس تلك المؤسسة العلمية ، صورة صادقة للطاقة المشعة من الشمس حسب أن الفدان الواحد من المنطقة الاستوائية يتلقى من الحرارة في أشهر الصيف الثلاثة ما يعادل الحرارة المنبعثة من اشتعال مائتين وخمسين طن من أجود انواع الفحم الحجري . ومن هذا يتجلى ان الحرارة التي يستفيد منها النبات في هذه المناطق ضئيلة جداً بالقياس الى ما يشع من الشمس . فاذا ما توصل العلم الى مضاعفة قابلية امتصاص النبات للحرارة تضاعف حجمه وعظمت الاستفادة منه

— ٤ —

وخلاصة البحث ان الصناعة بمختلف نواحيها لا تحتاج الى جميع العناصر التي في القشرة الأرضية او في طبقات الجو المحيط بها او في المياه المترافكة في البحار والمحيطات وإنما تحتاج الى طائفة كبيرة منها . ومهما تبلغ المقادير الموجودة من هذه العناصر فلا خوف من نفادها في المستقبل العاجل . فالركبات الحديدية منها المستعملة لصنع الحديد مستكفي المصانع العالمية

سنة قرون أخرى . وهناك كثير من الترسبات الحديدية لم تكشف مواقعها بعد . ويحتوي كثير من الطبقات الأرضية على مقادير ليست بالقليلة من المركبات الحديدية التي لا نجد ضرورة لاستخراجها في الظروف الحاضرة لكثرة كلفتها او لقلّة نسبة الحديد فيها . وقد بلغت صناعة المطاط الذروة من الانتاج عام ١٩٢٩ . وتتطلب هذه الصناعة زراعة مساحة من الأرض لا تقل عن عشرة آلاف ميل مربع من شجره . ولا ريب في ان هذه مساحة صغيرة جداً بالقياس الى مساحات الأراضي التي يمكن زراعتها بشجر المطاط عند ما تدعو الحاجة الى ذلك . ولم يغفل الكيميائي تحضير هذه المادة الكبيرة الفائدة في مختبره . وتعد روسيا السوفيتية صناعة المطاط من أهم صناعاتها الوطنية

وما دامت المواد الخشبية كثيرة الوجود ، فلا خوف من قلة الورق عندما يزداد الطلب عليه ، ولا سيما اذا ما ابتكر العالم وسائل تقف دون التبذير في استعماله . اما الاطعمة والمواد التي يتغذى بها الانسان في العالم منها ما يكفي ثلاثة او اربعة اضعاف سكانه طوال قرون عديدة ان توصلت الدول الى حل مشكلة التوزيع حلاً صحيحاً عادلاً . ولا نجد بداً من ان ننهي هذا البحث بجدول رابع يستوضح القارئ منه ان ليس هناك أمة من الأمم الكبيرة في غنى عن الاخرى وان التوزيع العادل في الانتاج الصناعي وفي مواد الخيام أمر لا مفر منه ان وجه العالم نظره وجهة سلام دائم واستقرار شامل . هذا واننا استعملنا في الجدول ثلاثة انواع من الوحدة الاقتصادية رمزنا لاولها بالحرف (ا) وهو يشير الى الكفاية الذاتية التامة . ورمزنا الى الثانية بالحرف (ب) وتشير هذه الى الكفاية الجزئية ، ورمزنا الى الاخيرة بالحرف (ج) وهو يشير الى شدة الحاجة الى المواد الخام

الجدول الرابع : كفاية الامم من أهم المعادن

المعدن	بريطانيا	الولايات المتحدة	روسيا السوفيتية	فرنسا	المانيا	ايطاليا	اليابان
الفحم الحجري	ا	ا	ا	ا	ا	ب	ب
الحديد	ا	ا	ا	ا	ب	ج	ج
النحاس	ا	ا	ب	ج	ج	ج	ب
الرصاص	ا	ا	ج	ج	ا	ب	ج
الزنك	ا	ا	ب	ب	ب	ج	ب
النيكل	ا	ج	ج	ب	ج	ج	ج
القصدير	ب	ج	ج	ج	ج	ج	ج
الاسبستوس	ا	ج	ا	ج	ج	ج	ج
النفط	ج	ا	ا	ج	ج	ج	ج

المرأة والدولة

في فجر الاسلام

للسيدة الباحثة نابية أبوت

ترجمها وعلق عليها : محمد عبد الغني حسن

كان الفا كه من فتیان قریش ، وكان له بیت للضيافة بارز من بیوت العرب یغشاه الناس .
نحلاً البیت ذات یوم من الضیفان فاضطجع الفاكه وهند فيه ، ثم نهض لبعض حاجته وعاد
فرأى رجلاً خارجاً من البیت فأقبل الى زوجته فضربها برجله وشك فیها وردھا الى أهلها .
وبذلك عرضھا لحديث الناس فیها حتی خاضوا فی ذلك كثيراً . فقال لها أبوها : إن الناس
قد أكثروا فیک فأنبئنی بنبیئک ، فان یکن الرجل صادقاً دمست علیه من یقتله فتقطع بذلك
عنك المقالة السيئة . وأن یک کاذباً حاکمه الى بعض کهان الین . فقالت هند : لا والله ما هو
علي بصادق . وأنکرت ما رُمیت به إنکاراً شديداً

وخرج الفاكه الى کاهن الین فی جماعة من بني مخزوم . وخرج عتبة أبو هند فی جماعة
من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة أخريات . ولما بلغوا الکاهن أعلن برأئها قائلاً : —
أنهضی غیر رسحاء ولا زانية ، ولتلدن ملاً یقال له معاویة

ولقد قبل الفاكه حکم الکاهن ، ورضي بأن تعود الیه هند ولكنها رفضت ذلك (٤٩)
ونحن نترك لحکم القراء مقدار ما فی هذه القصة من خیال وما فیها من حقيقة . وعلى کلّ
فهي أول قصة نعرفها عن هند وهي تصورها لنا امرأة تؤمن بتعالیم بلاد العرب الوثنية
كما تصورها لنا زوجة لم تكن فضيلتها فوق ريسيتها . ومسيدة معترزة بنفسها لها عقل مستقل
سريع الفصل في الأمور

وهذه المميزات الثلاث ستظل ملازمة لها طول حياتها كما رأينا ذلك في كتب السير
وكذلك طلقت هند من الفاكه ، ولكنها لم تفقد كثرة الذين تقدموا الى خطبتها . فمنهم
مساقر بن أبي عمرو ، وهو شاعر قرشي من غير طبقة الفحول . وقد خطبها الى أبيها بعد أن
شغفته حباً . وبالرغم من شهرته بالشعر ومن جوده الذي استحق من أجله لقب « زاد
الركب » فان هنداً لم ترض ثروته وماله

(أزواد الركب في الجاهلية ثلاثة من قريش ، وهم مسافر بن أبي عمرو ، وزمعة بن الأسود ، وابو أمية

ابن المغيرة . وإنما قيل لهم ذلك لانهم كانوا اذا سافروا لم يتزود معهم أحد : ولم ييم بذلك غير هؤلاء الثلاثة — بلوغ الاربع ج ١ ص ٩٢ — المترجم)

فرفضت هند الزواج منه ولو أن المقالة انتشرت في قريش بأنها اتصلت به اتصال الحبيب بالمحب ، وخشيت على نفسها الفضيحة فسألته أن يرحل عن بلدها . فوفد على عمرو بن هند لعله يصيب عنده من الجاه والثروة ما يمكنه من العودة على هند بخطبتها (هكذا ذكرت الباحثة ، وفي الاغانى ج ٨ ص ٤٩ انه وفد على النعمان ملك الحيرة ، وفي موضع آخر من الاغانى انه وفد على عمرو بن هند — المترجم)

ومن عجب أن الأقدار أنالته ما التمس عند عمرو بن هند ولكنها — ساخرة — ضنت عليه بتحقيق أمنيته في الزواج من هند تلك الامنية التي ارتحل من أجلها الى عمرو . وكانت هند جاهلة بما أصاب محبها في بلاط الحيرة من نجاح وتقرب . ومن ناحية أخرى فانها لم تنتظر عودة ذلك المحب النائي

وتقدم الى خطبتها بعد ذلك اثنان . وكان لها الخيار في واحد منهما بعد أن سمعت من أبيها (٥٠) صفات خاطبها الجديدين . أما الاول فهو سهيل بن عمرو ، وقد رفضته على الرغم من نبل محتده وكرمه وسماحة خلقه لانه كان مع ذلك كله ضعيفاً

وأما الثاني — الذي نجح في خطبتها — فقد وصف بأنه قوي في خلقه زعيم في قومه ، ولم يكن غير أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية القرشي ، وكان واسع الثراء كبير النفوذ تاجراً ناجحاً ورئيساً لقبيلته والزعيم الحقيقي في حكومة مكة

أما خطيبها الاول — مسافر — فلم يطل به أجله بعد ان علم عرضاً من أبي سفيان — وهو في قافلة الى الحيرة — (٥١) انه تزوج هنداً ، فدخله من ذلك النبأ ما اعتل معه (ولا بأس هنا من اكمال القصة كما رواها ابو الفرج الاصفهاني ، فقد استسقى بطن مسافر ، ودعا له عمرو بن هند بالاطباء ليكوهوا فافقعه ذلك فقال مسافر : —

ألا ان هنداً أصبحت منك محرماً واصبحت من أدنى جوتها حراً
وأصبحت كالمقهور جفن سلاحه يقب بالكتفين قوساً وأسهما
ولما مات رثاء ابو طالب عم النبي بشعر جاء فيه :

ليت شعري مسافر بن ابي عمرو وليت يقولها المحزون
رجع الركب سالمين جميعاً وخليلي في مرمى مدفون
بورك الميت القريب كما بو رك نضج الرمان والزيتون
بيت صدق على هباله قد حا لت فياف من دونه وحزون
مدره يدفع الخصوم بأيد وبوجه يزينه العرين
كم خليل رزته وابن عم وحيم قضت عليه المنون
فتعزيت بالتأسي وبالصبير واني بصاحبي لضنين
(المترجم عن الاغانى)

(٥٠) ابن سعد ج ٨ ص ١٧١ والعقد الفريد ج ٣ ص ٢٧٤

(٥١) الاغانى ج ٨ ص ٤٩ وج ١٩ ص ١٠٥ وكوسان دبرسفال ج ١ ص ٣٣٦ — ٣٣٨

ولقد أنجبت هند بنت عتبة من أبي سفيان معاوية الذي أصبح فيما بعد خليفة وهو المؤسس الاول لدولة بني أمية . وتاريخ تلك الحادثة مجهول لدينا . ولكنه يقع على وجه التقريب في العقد الاول من القرن السابع المسيحي ^(٥٢) وكذلك أنجبت هند من زوجها أبي سفيان ولداً آخر هو عتبة ، وبنتين هما جويرة وأم الحكم ^(٥٣)

وكانت هند بالطبع واحدة من زوجات متعددة لأبي سفيان . الا اننا لانعرف الا القليل عن علاقاتها بضراتها . ويحكي لنا ابن قتيبة في عيون الاخبار — كيف كانت هند تغري أبا سفيان بالعداوة بينه وبين زوجته صعبة بنت عبد الله بن مالك ^(٥٤) حتى طلقها

(قرأت في بعض المصادر ان اسمها صعبة أم طلحة بن عبيد الله وهي من بنات فارس — المترجم)

ويروي لنا مؤرخو السيرة حادثة واحدة عن هند مدة ظهور النبي في مكة . وتلخص

فيما يلي :

كان أبو لهب عم النبي يجاهر بعداوته وخصومته له — تلك العداوة التي استحق من أجلها التباب والخسران من الله في إحدى سور القرآن واستحققت زوجته — ويشار إليها في القرآن بحمالة الخطب — تلك اللعنة في السورة الحادية عشرة بعد المائة — تلك السورة التي تفردت بلعنة هذين الزوجين

ولم تكن قرابة أبي لهب من النبي هي قرابة العمومة فحسب ، بل اشتبكت تلك العلاقة بزواج ابن أبي لهب من إحدى بنات النبي رقية أو أم كلثوم . وكانت امرأة أبي لهب واسمها أم جميل بنت حرب أختاً لأبي سفيان ؛ وكانت تكره امرأة ولدها — بنت النبي — كما كرهت أباهها محمداً . وقد أغرت زوجها بعداوة النبي وبنته . فقبل أبو لهب اغراءها واضطرَّ ولده الى طلاق زوجته . وترك الهاشميين — وهو واحد منهم — وانضم الى القرشيين من أهل مكة وهم المعروفون بعداوتهم للرسول

وكانت قائمة المعارضين من قريش تضم زعماء عديدين من قرابة هند ، منهم أبوها عتبة وعمها شيبه ، وبالطبع زوجها أبو سفيان . والى الآن لم يكن دور هند في خصومة قريش للنبي مقررراً . ولكن على كل حال لم يتطرق الينا شك في أنها كانت مهتمة بتيارات الحوادث في ذلك الحين

وقد لقيها أبو لهب حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشاً . فقال لها يا بنت عتبة : هل نصرت

(٥٢) لامنس في دائرة المعارف الاسلامية ج ٣ ص ٦١٧ (٥٣) كتاب المعارف لابن قتيبة ، وابن سعد ج ٨ ص ١٧٤ والاصابة ج ٤ ص ٨٥٤ (٥٤) عيون الاخبار ج ٤ ص ١٠١ وانظر الاصابة ج ٤ ص ٦٦٤ في تاريخ صعبة

اللات والعزى^(٥٥) وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما ؟ قالت نعم فذاك الله خيراً يا أبا عتبة
(في ابن هشام أن قريشاً لما رأت أن الإسلام جعل يفسد في القبائل اجتمعوا واثمروا أن يكتبوا
كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، فكتبوا الصحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على
أنفسهم — المترجم عن السيرة ج ١ ص ٢١٥)

ولم تكن كل أسرة هند في جانب الخصومة لمحمد ، فقد كان أخوها أبو حذيفة من أوائل
السابقين إلى الإسلام . وقد دعا أبو حذيفة أباه عتبة في موقعة بدر إلى النزال ، فسخرت هند
من أخيها على سلوكه هذا الذي يدل على عقوقه لأبيه^(٥٦) . وبعد موقعة بدر سخرت هند
كذلك من بنت عمها رملة بنت شيبه التي اعتنقت الإسلام وتزوجت من عثمان بن عفان^(٥٧) ،
وهناك أيضاً رملة بنت زوجها أبي سفيان التي أسلمت وتزوجت محمداً

ولا نجد لهند ذكراً ظاهراً في تاريخ السيرة إلا بعد الحوادث التي ترتبت على واقعة بدر .
ولكن لا بد أن نلفت النظر إلى قصة غريبة تربط هذا بحادثة هجرة زينب^(٥٨) بنت النبي
إلى المدينة . فقد ظهرت هند في هذه الحادثة بمظهر المساعدة لزينب على هجرتها . وترك زينب
نفسها رواية هذه القصة قالت : « بينا أنا أتهجد بمكة للحق بأبي ، لقيتني هند بنت عتبة
فقلت : يا بنت محمد ! ألم يباغني أنك تريدن الحقوق بأبيك ؟ قالت فقلت ما أردت ذلك .
قالت أي ابنة عمي لا تفعل ! إن كانت لك حاجة بمحتاج مما يرفق بك في سفرك أو بمال تبذلغين
به إلى أبيك فإن عندي حاجتك ، فلا تضطئي مني فإنه لا يدخل بين النساء ما يدخل بين
الرجال . قالت : والله ما أراها قالت ذلك إلا لتفعل ولكني خفتها . فأنكرت أن أكون أريد
ذلك وتجهزت . فلما فرغت ابنة رسول الله من جهازها قدم لها حموها كنانة ابن الربيع
أخو زوجها بغيراً فركبته وأخذ قوسه وكنانته ثم خرج بها نهراً يقود بها وهي في هودج
لها . وتحدث بذلك رجال قريش . فخرجوا في طلبها حتى أدركوها بندي طوى ليمنعوها من
قصدها . فزجرتهم هند قائلة : اني أراكم في وقت السلم شجعاناً أشداء على الضعفاء ومن لا سند
لهم . ولكني أراكم في الحرب كالنساء تلاتينون الحديث »

وقد كانت سلطة هند كافية للازدراء بالمعتدين على زينب ، ولكن من الصعب أن نلعل
تقديمها المساعدة إليها . فإن أبا سفيان ومعه قريش قد باءوا بالهزيمة وكابدوا خسائر فادحة في
غزوة بدر . ولقد أضعفت الهزيمة روحهم وصاروا على استعداد للتغاضي عن فرار زينب .
وكذلك كانت هند . فلعلها كانت — وفقاً لهذه الروح السائدة في قريش — متغاضية عن فرار

(٥٥) ابن هشام ٢٣١ (٥٦) ابن سعد ج ٣ ص ٥٩ وميور ص ٦٠ ٢٢٨

(٥٧) ابن سعد ج ٨ ص ١٧٣ والبلاذري : الأنساب ج ٥ ص ١٠٦

(٥٨) ابن هشام والطبري وميور وانظر أيضاً هنري لامنس في كتابه فاطمة وبنات النبي

زينب ، ولكن ما كان يصدق أن يبلغ بها التغاضي إلى حد أن تقدم إليها المعونة المباشرة وأكثر من هذا — اذا صدقنا هذه الرواية — فما أحرانا أن نخلع على هند قدراً من البكياسة الخارجية التي تنافي ما عرف من أخلاقها العامة ، لأن سلوكها في هذه الحادثة ينافي ما بقي من نشاطها في العصر الذي نحن بصدد الحديث عنه
إن هنداً التي تقدمت أباه وعمها وأخاها في واقعة بدر تناولت مسائل الرجال بقلب المرأة فلقد روى المؤرخون لها كثيراً من المراثي في أبيها ، ولو أن مراثيها الشعرية في موضع الشك . وعلى كل حال ليس هناك ريب في حزنها على من قتل من قرابتها ولا في تصميمها على الأخذ بثأرهم (في كتب الادب والسير طائفة من شعر هند في رثاء أبيها عتبة ، وهو شعر فيه كثير من الرقة واللوعة ولا بأس هنا من إيراد بعضه على سبيل الاستشهاد ، وإن كان ابن هشام يذكر أن بعض أهل العلم بالشعر ينكره :

يرب علينا دهرنا فيسوءنا ويأبى فما نأتى بشيء نغالبه
أبعد قتيل من لؤي بن غالب يراع امرؤ أن مات أو مات صاحبه
ألا رب يوم قدرزئت مرزاً تروح وتغدو بالجزيل مواهبه
فأبلغ أبا سفيان عني مألوكا فإن ألقه يوماً فسوف طابته
فقد كان حرب يسعد الحرب انه لكل امرئ في الناس مولى يطالبه

وقالت : —

لله عينا من رأي هلكا كهلك رجاله
يارب باك لي غداً في النائبات وباكيه
كم غادروا يوم القليب غداة تلك الداعيه
من كل غيث في السنين اذا الكواكب خاويه
قد كنت أحذر ما أرى فأيوم حق حذاريه
قد كنت أحذر ما أرى فأنا الغداة مرايه
يا رب قائلة غداً يا ويح أم معاويه
المترجم عن الدر المنثور ص ٥٣٨)

وكانت مكة بعد واقعة بدر وهزيمة قريش فيها تنحرق شوقاً الى الانتقام من المسلمين . ولكنها لم تستسلم الى الاحزان أنفة أن تتمهم بضعف همتها . ألم يصرخ أبو سفيان في قريش قائلاً : — لا تبكوا على قتلناكم . ولا تندبوا مصارعهم ولا تدعوا شعراءكم يرثونهم . وأظهروا لأعدائكم الرجولة والبطولة ، واعلموا انكم اذا بكيتهم عليهم ونظمت فيهم المراثي فإن ذلك قد يطفئ نار حقدكم ويقلل من عداوتكم لمحمد وأتباعه . على أن بكاءكم على رجالكم اذا بلغ مسامع اعدائكم فانهم يسخرون منكم ، فيكون هزؤهم بنا وسخريتهم منا أشد علينا من كل مصيبة ! وقد يدرككم الخط فتدركون ثأركم ، أما أنا فقد أخذت على نفسي موثقاً ألا ألس دهنًا أو أقرب امرأة حتى أعلن الحرب على محمد »

وقد مرَّ شهر على قريش قبل أن تطفئ نار حزنهم . ولم ينقض شهر ثان حتى كانت مكة

كلها تبكي على قتلها ما عدا هنداً. ولما سألوها : — لماذا لاتذرفين الدموع ؟ ولماذا لاتبكين على أبيك عتبة وأخيك وعمك شيبه ؟ أجابت : — «كلاً ! أنا لن أبكيهم حتى تشنوا الغارة مرة أخرى على محمد وأتباعه . وإذا كان البكاء يغسل أحزان قلبي ، فأني أبكي عليهم كما تبكون ولكن بكاء هند لا يشفي غليل فؤادها » (٥٩)

أما وقد فقدت هند ثلاثاً من أسرته ، فهي أجدر النساء بأن تنافس الخنساء في كونها أشد ثواكل العرب . فلقد فقدت الخنساء أباه وأخوها قبل الاسلام ، وظلت تبكيهم في شعر مثير رقيق ، وكان من عادتها — الخنساء — ان تقد الى سوق عكاظ كل عام وقد سومت هودجها براية وهي تعظم العرب بمصيبتها في شعر رقيق (٦٠)

(روى صاحب الاغانى : — لما كانت وقعة بدر قتل فيها عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة فأقبلت هند بنت عتبة ترثيهم ، وبلغها تسويم الخنساء هودجها في الموسم ومعاضتها العرب بمصيبتها في أبيها عمرو بن الشريد وأخوها صخر ومعاوية ، وانها جعلت تشهد الموسم وتبكيهم وتقول : أنا أعظم العرب مصيبة ، وإن العرب قد عرفت لها بعض ذلك . فلما أصيبت هند بما أصيبت به ، وبلغها ما صنعت الخنساء قالت أنا أعظم منها مصيبة ، وأمرت بهودجها فسوم براية وشهدت الموسم بعكاظ فقالت : اقرنوا جلي بجمل الخنساء ففعلوا . فلما دنت منها قالت لها الخنساء من أنت يا أخية ؟ قالت أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة ، وقد بلغني انك تعظمين العرب بمصيبتك ، فهم تعظمينهم ؟ فقالت الخنساء : يعمر بن الشريد وصخر ومعاوية ابني عمرو ، وهم تعظمينهم أنت ؟ قالت بأبي عتبة وعمي شيبة وأخي الوليد . قالت الخنساء : أو سواء هم عندك ؟ نعم أنشدت تقول : —

أبكي أبا عمرو بعين غزيرة
وصنوي لا أنسى معاوية الذي
وصخرأ ومن ذا مثل صخر اذا غدا
فذلك يا هند الرزية فاعلمي
فقال هند تحبها : —

أبكي عميد الابطحين كليهما
أني عتبة الخيرات وبحك فاعلمي
أولئك آل المجد من آل غالب

(المترجم عن الاغانى)

ولم تكن الحكومة بين الثاقلين قاطعة الى ان جاء الاسلام وفقدت الخنساء اولادها الأربعة في واقعة القادسية (٦١) ، فاعترف للخنساء بشكها الذي لا يدانيه شكل امرأة أخرى في تاريخ العرب جاهليتها واملأها

كانت قريش تعد العدة للاخذ بثأر قتلى بدر ، ولتدفع عنها عار الهزيمة التي لحقتها في تلك الموقعة ، وكان أبو سفيان أبرز المشركين في مكة وأكثر ظهوراً في تلك الحركة المعادية

(٥٩) ميور ص ٢٣٦ والواقدي في كتابه المغازي طبع كلكتا ص ١٤ — ١٨

(٦٠) الاغانى ج ٤ ص ٣٤ والاب لويس شيخو اليسوعي في كتابه السابق

(٦١) الاصابة ج ٤ ص ٥٥١ والاب لويس شيخو في كتابه السابق

التي لقيت من هند رضاءها ونالت استحسانها . وكانت هند بحكم كونها زوجة أبي سفيان — ان لم تكن بحكم عداوتها الخاصة للمسلمين — زعيمة النساء في تلك الحركة . وكان يوم الانتقام يبدو قريباً ، وهند مع نساءها على أهبة الاستعداد له

خرجت قريش وعلى رأسها أبو سفيان الى وقعة أحد سنة ٣ من الهجرة المقاتلة لسنة ٦٢٥ ميلادية . ومعها النساء

(والدفوف والمعارف وآلات الملاهي والحمور والبغايا — عن محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)
والاصنام على عادة الجاهلية . ويعدداً كثر المؤرخين زعماء قريش الذين صاحبوا معهم زوجاتهم وأمهاتهم . وقد أخذ أبو سفيان معه زوجته هنداً . ويروي بعضهم أنه استصحب زوجة أخرى له تدعى أميمة بنت سعد (٦٢)

خرج النساء بزمامة هند ، وعدتهن أربع عشرة أو خمس عشرة
(سبع عشرة تبعاً لرواية محمد رضا ص ٢٥٤ — المترجم)

وهن خلاصة الطبقة الراقية في مكة ، وقد لعبن في هذه الموقعة الدور الذي تلعبه المرأة العربية في الحروب العامة ، التماساً للحفيظة ومنعاً للرجال من الفرار . خرجن يغنين ويغشن الأناشيد ويضربن الدفوف ويرقصن ويرتمين في الميدان غير مباليات بالخطر . فاذا رآهن الرجال على تلك الحال اضطروا الى القتال أو الموت . وعلى الجملة فقد كانت هند وعصبتها من النساء يمثلن في وقعة أحد دور المحضضات على القتال . وقد قامت هند بدورها في نشاط عجيب ، وروح طيبة (٦٣) . ولم يقل بقية النساء عنها شجاعة
(روى ابن هشام أن هنداً قامت في النسوة اللاتي كن معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ويحرضنهم فقالت هند فيما تقول :

وبها بني عبد الدار وبها حاة الادبار
ضربا بكل بثار
ان تقبلوا نعانق ونفرش الفارق
أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

المترجم — عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٨)

وحينما سقط لواء قريش من يد حامله أخذته حمرة بنت الحارث زوجة غراب بن سفيان
فرفعته لقريش (٦٤)

ولما انتهت الموقعة بانتصار قريش كانت الساعة التي تنتظرها هند للانتقام قد حلت . وكانت هند قبل الموقعة وفي خلالها تغري حبشياً يقال له وحشي بالرامية لأنه كان يجيدها (وكانت تقول له محرضة : وبها أبادسة ! أشف واشتف — المترجم عن ابن هشام ص ٦٦)
ولم تكف هند بأن وحشياً قتل حمزة الذي قتل أباه يوم بدر ، ولم يشف غليلها قتله

(٦٢) ابن هشام والواقدي والطبري والافاعي ج ١٤ ص ١٢

(٦٣) ابن هشام والواقدي والطبري والافاعي ج ١٤ ص ١٧ (٦٤) الواقدي ص ٢٠١

بل ذهبت اليه لتراه يحبط في دمهائه وتشفي غيظها عند جسده . وهنا يصور لنا مؤرخو
السيرة هنداً في صورة الشيطان ، فقد بقرت عن كبد حمزة فلاكتها ، فلم تستطع أن تسيغها
فلفظتها . وأخذت تمثل بالقتلى وتقطع الآذان والأنوف حتى اتخذت منها خدماً وقلائد^(٦٥)
(وأعطت خدمها وقلائدها وقرطتها وحشياً الحبشي غلام جيد بن مطعم — ابن هشام ص ٨٤)
ثم علت على صخرة مشرفة ، فعبّست — أمام عدوها المخرج في دمهائه — عن سرورها
وانتصار قومها وأخذها بئراً أبيها في شعر هجائي قبول بالرد من بعض النساء المسلمات . كما
رد عليه حسان بن ثابت^(٦٦) بعد ذلك بزمان

(في سيرة ابن هشام طائفة من شعر هند بنت عتبة في موقعة أحد أذكر منه هذه الايات : —

نحن جزيناكم	يوم بدر	والحرب بعد الحرب ذات سعر
ما كان عن عتبة لي من صبر	ولا أخي وعمه وبكري	
شفيت نفسي وقضيت نذري	شفيت — وحشي — غليل صدري	
فشكر وحشي علي عمري	حتى ترم أعظمي في قبرى	
فأجابتها هند بنت أئمة بن عباد بن عبد المطلب من نساء الساميين بقولها : —		
خزيت في بدر وبعد بدر	يا بنت وقاع عظيم الكفر	
صبعك الله غداة الفجر	م الهاشميين الطوال الزهر	
بكل قطاع حسام يفرى	حمزة ليثي وعلي صقري	
أذ رام شيب وأبوك غدري	نفضا منه ضواحي النحر	
فتندرك السوء فشر نذر		

وقد حذف ابن هشام منها ثلاثة ابيات أقدمت فيها في الهجاء ، ومما يدل على شفاء هند غليل نفسها بقتل
حمزة والتحمل به قولها من أبيات آخر :

شفيت من حمزة نفسي بأحد	حتى بقرت بطنه عن الكبد
أذهب عني ذلك ما كنت أجد	من لدعة الحزن الشديد المعتمد

وقد رد عليها حسان رداً مقنعاً أستحي هنا من إيراده ، فمن شاء ان يقرأه فليرجع الى ديوان حسان
ابن ثابت طبع مطبعة السعادة وشرح الضابط المصري محمد العناني ص ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٨٨ — المترجم)

ومن الصعب ان يصدق الانسان ان هنداً بنت عتبة — وهي السيدة الشريفة في مكة —
قد ذهبت في الانتقام المروى عنها مذهب البرابرة الغلاظ الأكباده . ولقد ذهب «ميور»^(٦٧)
من زمن بعيد الى ان مؤرخي السيرة قد بالغوا في تصوير هند في صورة هذا الغيظ المزبد .
كما ذهب الأب «لامنس»^(٦٨) الى أبعد من هذا حينما ذكر ان حادثة تمثيلها بحمزة لم تكن
الا من مخترعات العباسيين . وهذان الرأيان يعززهما ما ذكره ابن سعد صاحب الطبقات بعد ان
روى الحادثة فقد أضاف اليها رأيه الخاص قائلاً «تلك حملات قامية على هند المسكينة»^(٦٩) .
وقد يكون من المهم ، في هذا الصدد ، أن نلاحظ أن ابنها معاوية — مؤسس الدولة الأموية
وخصيم العلويين والعباسيين — يشار اليه غالباً في كتب السير بابن آكلة الأكباد^(٧٠)

(٦٥) ابن هشام وابن سعد ج ٣ ص ٥ والواقدي ص ٢٧٩ والطبري واليعقوبي (٦٦) ابن هشام
والطبري والأغاني ج ١٤ ص ٢٠ وديوان حسان بن ثابت (٦٧) ميور ج ٣ ص ١٢٩ (٦٨) بلاد العرب
الشرقية ص ١٢٤ (٦٩) ابن سعد ج ٣ ص ٦ (٧٠) العقد الفريد ج ٢ والفخري لابن العلقمي طبع باريس ص ١٤٤

مقام المرأة

في مصر القديمة

للدكتور باهور لبيب
المدرس بجامعة فؤاد الاول سابقاً

مقام المرأة من الوجهة الاجتماعية

تعدد الزوجات لم يكن معروفاً عند قدماء المصريين الا انه كان للرجل الموسر الحق في أن يضم إليه كثيرات من المغنيات والجواري كما انه كان للملك الحق في ان يتخذ الى جانب زوجته الشرعية (الملكة) زوجات أخريات لا حقّ لهنّ في وراثة العرش وكانت الزوجة تعرف باللغة المصرية القديمة بما معناه « زوجته المحبوبة وربة الدار » . فكانت هي التي تشرف على ادارة المنزل وتربية الأطفال بجانب اهتمامها بزوجها وبجانب هذا الشأن الذي لها في حياة الأسرة وكيانها فقد كانت ذات شأن في الحياة العامة كما سنرى ذلك فيما بعد

واهتمامها بالمنزل وبأسرتها لم يكن عائقاً لها عن التزين والتأنق فكانت تحضّب أنامل يديها وأصابع قدميها وتكحلّ عينيها وتلوّن شفتيها باللون الاحمر كما تفعل المرأة الحديثة في أيامنا ولكن بطريقة تختلف عن الطريقة المصرية لانها كانت تستعمل الفرشاة عند التلوين (راجع الصورة على الصفحة المقابلة) وتضع على وجهها مختلف المساحيق التي تظهرها بالمظهر الفنان وكانت تجعد شعرها بحسب العادة الجارية في عصرها وكانت تزين صدرها وعنقها ويديها بالخلّي والجواهر

والادب المصري مملوء بالعبارات التي تبين حب الابن لأمه والابنة لأمها وكذلك مملوء بالعبارات التي تبين علاقة الرجل بأمراته فكان يقبلها ويداعبها ويعانقها ويعاملها بالحسنى ولا يهجرها وكذلك يتيح لنا هذا الأدب شيئاً كثيراً عن خواطر المرأة والرجل وما بينهما من صلات الصداقة والحب

وعلى سبيل المثال أورد القصة الآتية وهي مكتوبة على ورقة بردية محفوظة بمتحف ليدن وهي ان رجلاً مرض بعد وفاة زوجته فاستأثر أحد السحرة في ذلك فأخبره أن يكتب

يدعى «خنوم ردى» بأنه كان أميناً لمكتبة
سيدة عظيمة القدر تدعى «نقروكايت»
ثم يقول ما ترجمته : « هذه السيدة عينني
في دندرة مشرفاً على خزائن الكتب الخاصة
بأمها تلك السيدة التي كانت مولعة بالعلوم
والفنون » ونجد بعد ذلك ان هذا الموظف
ابتداً يصف ما قام به من اعمال عظيمة
في اثناء ادارته لتلك المكتبة فيقول : —
« انا قد زدت عدد مجاميع الكتب الموجودة

بها واستحضرت
لها كثيراً من
المؤلفات الثمينة حتى
انها لم تعد في حاجة
الى توسيع اكثر
من ذلك على ما أعلم
ورقت هذه المكتبة
ترتيباً حسناً لم
يحدث مثله من قبل.

وقد ربطت ما كان مفكوكاً (يعني انه
ربط لفات البردي المحلولة) .

واما من الوجهة المدنية فقد كان للمرأة
كامل حقوقها في التصرف في اموالها
والتصرف في عقارها دون الرجوع الى زوجها
او ابنها او فرد آخر من عائلتها فعلى سبيل
المثال تصرفت أم « الموظف امتن » بكامل
حريتها في ملكها بالوصية والهبة

خطاباً الى روح زوجته فكتب اليها خطاباً
وذهب به الى مقبرتها في احد الاعياد وقرأه
بصوت عالٍ ثم ربطه بتمثالها حتى يصل اليها
وقد جاء فيه : « أي ذنب جنيته نخوك أيتها
الحبيبة حتى أقع فيما أنا فيه من بؤس وشقاء ؟
أي ذنب جنيته أيتها الحبيبة حتى تساعدي
أرواح الشر ضدي وماذا فعلت معك من
ساعة زفافنا الى اليوم . تزوجتك وقد كنت
رجلاً يشغل منصباً صغيراً ؟ وتدرجت

بعدها من منصب
الى منصب وما جال
بخاطري يوماً أن
أهجرك وما فكرت
أبداً في ان أجلب
الحزن الى قلبك .
ذلك كان شعوري
يوم كنت صغيراً
وما تحولت عنه لما

صرت كبيراً في خدمة فرعون . فلم أهجرك
بل حافظت عليك في السراء والضراء . . .
وعندما مرضت ألم أحضر لك كبير الاطباء
فبذل كل شيء في سبيل شفائك . . . اني
لا أعلم يوماً قصرت في واجبي نحوك »
وقد كان للمرأة المصرية القديمة حظ
موفور في الثقافة مما يسترعي النظر .
فالسيدات المصريات كن مولعات بالعلوم
والفنون . فعلى سبيل المثال يحدثنا موظف



مقام المرأة من الوجهة السياسية

وكان نظام الحكم المصري يبيح للمرأة حق تولي عرش مصر فلم تقعدها الأنوثة عن ركوب الصعاب فشاركت الرجل في هذا الجهاد وتاريخ مصر القديم حافل بعدد وافر من شهيرات النساء اللواتي جلسن على عرش مصر . ففي الدولة القديمة نجد الملكة نيتوكرس (خنت كاواس ؟) وفي الوسطى « ميبك نفرو رع » وفي الحديثة الملكة حاتشبوت وفي عهد البطالسة الملكة كليوباترة (الاخيرة وأعني كليوباترة آخر من تولي عرش البطالسة وقد أخفقت في سياستها وبعد وفاتها من سنة ٣٠ ق. م دخلت مصر تحت حكم اغسطس قيصر روما) . وسأقصر في مقال اليوم الكلام على الملكة حاتشبوت التي تعد من اعظم الملكات اللواتي عرفهن التاريخ القديم وهي التي حكمت مصر (من سنة ١٤٩٣ ق. م الى سنة ١٤٧٩ ق. م) وتركت لنا آثاراً كثيرة كما انه وصلنا شيء كثير عن بعض موظفي هذه الملكة

ويمتاز عهدها بأنه عهد سلام ووئام مع الممالك المجاورة لمصر فلذلك تمكنت من ان توجه همتها الى اعمال السلام بالرغم من المنازعات الداخلية التي نشأت من المنازعات العائلية بسبب التنازع على العرش وبسبب زيادة نفوذ كبار كهنة آمون . وقد ساعدها على تنفيذ الاعمال السلمية حروب والدها تحتمس الاول وكذلك المعارك التي خاض غمارها اخوها وزوجها الاول تحتمس الثاني وهي المعارك التي ثبتت اركان الامبراطورية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى صغر من تحتمس الثالث ابن زوجها الاول تحتمس الثاني من زوجة ثانية . فكل هذه الظروف ساعدتها على ان تكون على جانب عظيم من القوة والدهاء

وقد استغلت هذه الملكة مناجم شبه جزيرة سيناء في صرבות الخادم او في وادي المغارة فأرسلت هناك البعثات تلو البعثات للحصول على مسحوق معدن النحاس والمواد الأولية اللازمة لعمل الزجاج

فقد وجدنا كثيراً من الزجاج في هذه الجهة حاملاً اسم هذه الملكة وطبيعي ان صناعته استلزمت وقوداً كثيرة مما يدل على استعمال الكثير من الخشب مما يجعلنا نرجح غناء هذا الاقليم بالاشجار ولم يكن صحراء جرداء كما هو مشاهد الآن

كذلك اهتمت الملكة حاتشبوت بالمعابد فأكثر من تشييدها ولعل أهم ما شيدته معبدها المعروف « بمعبد الدير البحري » وقد سمي بهذا الاسم حتى لا يختلط علينا في العصر المسيحي مع دير آخر بني في الجهة القبلية واقصد به « دير المدينة » ويتكوّن معبد الدير البحري من ثلاث شرفات مدرجة والتمرفة العليا تنتهي بصف من الحجرات وقد بني هذا

المعبد حوالي السنة الثامنة من حكم الملكة حاتشبسوت . ومن حسن الحظ انه وصلنا اسم المهندس الذي شيده وهو « سن إن موت »
 اما الذي كلف الاشراف على صنع ابوابه التي من البرنز المطعم بخليط من الذهب والفضة فهو احد رؤساء المالية الذي يدعى « تحوتي »
 ومن المناظر والنصوص التي وصلتنا من هذا المعبد والتي لها منزلة تاريخية فيما يخص عصر هذه الملكة ، تلك التي توضح لنا طريقة ولادة الملكة حاتشبسوت بناء على وحي الهـي من الاله آمون (إله الدولة في ذلك الحين) وما يثبت حق الملكة الشرعي في الاستيلاء على عرش مصر

وقد أرسلت الملكة حاتشبسوت بعثة تجارية الى بلاد بنت (الصومال) ففي السنة التاسعة لحكمها نجدها ترسل اسطولاً مكوناً من خمسين سفينة فيقطع من المياه المصرية قاصداً الصومال متبعاً نهر النيل شمالاً حتى يصل شرقي الدلتا ومن شرقي الدلتا نجد الاسطول يعبر قناة وادي طميلات (قرب اقليم السويس) الى البحر الاحمر (١)

ثم بعد وصول الاسطول سالماً الى بلاد بنت يعود الى مصر محملاً بخيرات بلاد الصومال وتستقبل الملكة حاتشبسوت قائده ورجاله في الكرنك بطيبة وتقدم للمعبود آمون بعض واردات الصومال

ومن اهم ما شيده هذه الملكة ايضاً من الآثار ما اضافته الى معبد آمون بالكرنك واقامتها مسالتين عظيمتين فيه

واخيراً نعلم ان ثروة المملكة المصرية في ذلك الحين بلغت درجة من الرخاء عظيمة وكانت جزيرة المستعمرات تصل الى مصر بانتظام . بل من ظريف ما قالته هي عن عصرها « انها تكيل المعادن النفيسة كالحبوب اي بالمسكايل الكبيرة »

فالمرأة ساهمت تقريباً في كل ناحية من نواحي الحياة في مصر القديمة فكان فيها ملكات وكذلك كاهنات في المعابد وطبيبات وكاتبات وموظفات وربات منزل ومغنيات

(١) يلاحظ ان أقدم اتصال مائي بين البحر المتوسط والبحر الاحمر كان عن طريق اتصال فروع النيل الشرقية بهذه القناة ويرجع تاريخه الى ما قبل عصر هذه الملكة أي الى عهد الملك سنوسرت الثالث — راجع لمحة عامة عن فروع النيل السبعة في كتاب حضرة صاحب السمو الامير عمر طوسون « تاريخ خليج الاسكندرية القديم وترعة المحمودية »

اصطلاحات

علم النبات ومدلولاتها

— ٣ —

لمحمود مصطفى الدمياطي

- ﴿الاتِّفَاقِيَّ﴾ (adventitious (adventif, ive, f., adventice) صفة لكل عضو ينشأ شاذاً عن النظام العاديّ أو في غير موضعه المعتاد
- ﴿الأحْدَب﴾ (aduncate (courbé, e, f.) صفة لكل عضو منحني على شكل قوس
- ﴿الاقتران الأخويّ﴾ (adelphogamy هو اندماج خليتين نباتيتين أحدهما خلية الأم والأخرى إحدى الخلايا المتولدة منها
- ﴿الالتصاق﴾ (adhesion (adhésion, adhérence) هو التصاق أعضاء دائرة بغيرها من دوائر الزهرة. مثاله حالة التصاق الكأس بجدار المبيض والتصاق الأسدية بالتويج
- ﴿البرعم الاتفاقيّ﴾ (adventitious bud (bourgeon adventif ou adventice) هو أي برعم عدا البرعم الإبطيّ إذا نما أنتج فرعاً اتفاقيّاً. فقد أطلق العالم دوبتي — توار^(١) اسم البراعم الاتفاقيّة على التي تنشأ اتفاقاً على سوق النباتات كما في البراعم الزهرية على جذوع شجرة الأرجوان^(٢) المسنّنة
- ﴿التتابع إلى الطرف﴾ (acropetal succession هو أن تنشأ أعضاء النبات الجانبية وهي الجذيرات والفروع متتابعة نحو الطرفين بحيث يكون أصغرهما أقربها إلى طرف من محور النبات

﴿التكيف﴾ (adaptation هو خاصة ترجع إلى البنية (المورفولوجيا)

(١) Dupeit-Thouars, Louis Marie Aubert هو لوي ماري أوبيير دوبتي توار ولد في بورتوا قرب سومور من فرنسا في ٥ نوفمبر ١٧٥٨ ومات في باريس في ١١ مايو ١٨٣١ نباتي فرنسي ومكتشف جال في جزائر موريس ومدغشقر ورينيون بين ١٧٩٢ — ١٨٠٢ م

(٢) هي المعروفة في سوريا «بالزمرق» واسمها العلمي Cercis L. وبالانكليزية Judas tree وبالفرنسية gainier وبالفارسية ارغوان

او الوظيفة (الفيولوجيا) التي قد تساعد على اعداد السكان الحيّ للأحوال التي يعيش فيها
 ﴿ثنائي الاخوة﴾ (diadelphous (diadelphie) صفة عضو التذكير تكون اسديته
 منسقة في حزمتين كما في الشاهترج^(١) والبسلة

﴿الجذر الاتفاقي﴾ (adventitious root (racine adventive ou adventice)
 هو كل جذر ينشأ عن أي جزء من النبات عدا الجذر الأصلي . مثاله الجذور الزائدة التي
 تنشأ على السوق

﴿الحادّ﴾ (acute (aigu, e, f.) هو كل ما ينتهي بخفة برأس دقيق حادّ على نوع
 ما ويطلق عادة على قمة الورقة . فالورقة الحادّة^(٢) هي التي تنتهي بزاوية حادة بطريقة غير
 محسوسة أو برأس دقيق قد يكون معقوفاً كهيئة المنقار كما في الفصيلة الفيتولكسيّة^(٣)

﴿حادّ الزوايا﴾ (acutangular (acutangulé, e, f., acutangulaire) هو كل
 عضو له زوايا حادّة على عكس ذي الزوايا المنفرجة ويطلق على الساق ذات الحروف الحادّة
 العديدة الممتدة على طول هذه الساق

﴿الدّاني﴾ (adaxial) هو صفحة الورقة — أو البتلة أو غيرها — التي في الجانب
 الأدنى من المحور

﴿ذو الأخوة﴾ (adelphous (adelphie) صفة لعضو التذكير في الزهرة . تكون
 اسديته متحدة الخيوط اتحاداً كليّاً أو جزئياً . وكلمة adelphous تعني لاحقة في الكلمات
 المركبة كما هو مبين في موضعه

﴿الشائك﴾ (aculeate (aculé, e, f., aculéiforme) صفة لحامل الأشواك أو
 المغشّي بزوائد تشبه الابر . ويطلق على الاغصان الصلبة والحادة وعلى الاذينات المستديرة
 الصلبة الدقيقة الرأس مثل أغصان شجرة برقوق ابن آوى^(٤) واذينات شجرة البربريس
 الاعتيادي^(٥)

(١) اسمه العلمي Fumaria وبالانكليزية fumitory وبالفرنسية fumeterre وبالفارسية
 «شاهتره» وبالهندية «بت پابرا» (٢) acute leaf (feuille aiguë) (٣) Phytolaccaceae
 (٤) اسمها العلمي Prunus spinosa L. وبالانكليزية blackthorn وبالفرنسية prunellier
 (٥) prunier épineux اسمها العلمي Berberis vulgaris وبالانكليزية barberry وبالفرنسية
 épine—vinette

﴿ شعاعيّ الاتجاه ﴾ actinodromous. هو ذو العُرُوق الاسامية تشعّ من نهاية الرجيلة (الذنب)

﴿ شعاعيّ الشكل ﴾ actinomorphic (actinomorphe) صفة لما يشبه هيئة النجم ذلك بأنه اذا قطع رأسياً من وسطه في اكثر من اتجاه واحد كان الشقان مماثلين بعضهما للبعض كما هو في أزهار كثيرة

﴿ عدم الأدغام ﴾ adesmy حالة شاذة في الزهرة تكون فيها الاجزاء المتحددة بفطرتها على عكس ذلك منفصل بعضها عن البعض

﴿ الغبيرة القميّة ﴾ acrospore (acrospore) هي غبيرة تنشأ في طرف الهيفا (١)

﴿ الغُدِّيّ ﴾ adenoid (adenoïde) صفة لما يشبه الغُدّة

﴿ غُدِّيّ الورق ﴾ adenophyllous (adénophylle) صفة للنبات ذي الاوراق الغُدّيّة

﴿ القمّيّ الجانيّ معاً ﴾ acropleurogenous صفة للفُطر يحمل غبيراته في اطراف هيفاته وفي جوانبها معاً

﴿ اللادائريّ ﴾ acyclic يطلق على الزهرة تكون أجزاؤها منسقة تنسيقاً لولبيّاً لا دائريّاً

﴿ متعدد الاخوة ﴾ polyadelphous (polyadelphie) صفة لعضو التذكير تكون اسديته متحدة الخيوط فتكون حزماً عديدة منفصل بعضها عن البعض كما في عطر مار يوحنا (٢) وشجرة الليمون

﴿ المحاذي الى القمّة ﴾ acroscopic هو صفة للعضو يكون على الجانب محاذياً الى القمة

﴿ المقترن في النمو ﴾ adnate (adné, e, f) صفة للشيء الملتصق مباشرة بأخر فيكونا معاً جسماً واحداً. ويقال للعضو مقترباً في النمو عند ما يكون ملتصقاً على طوله بأخر بحيث يصبح كأنه زائدة فيه. ويقال « للانثيرة » (٣) مقتربة في النمو حين التحامها من جانبها بجزء من

(١) hypha معناها في الاغريقية « نسيج » وهي مأخوذة من خيط العنكبوت لشيها به (٢) اسمه العلمي Hypericum وبالانكليزية Saint John's wort وبالفرنسية millepertuis
(٣) anther ويمكن أن يستعاض عنها بكلمة « المثبر »

الخط المسمى بالوصلة وتكون هذه واضحة ولا يوجد مفصل بين الخط وقاعدة الاثيرة كما هو الحال في اكثر نباتات الفصيلة الشقية. اما الاذينات فتكون مقترنة في النمو او ملتحمة بالذنب في كثير من اجناس الفصيلة الوردية

﴿المُلامس﴾ (adnexed (juxtaposé e, f.) صفة لما يمس شيئاً آخر من دون التصاق به. مثاله خياشيم بعض الفطر المعروف بالافاريقون تصل الى ساقه القصيرة ولا تقترب منها في النمو

﴿المزوز﴾ (adpressed, appressed (apprimé, e, f., appliqué, e, f.) صفة لشيء يكون منضمّاً لآخر بقوة ولا التصاق بينهما. فبعض النباتين يقول ان الاوراق مزوزة عند ما يكون نصلها منضمّاً بقوة على الساق وان الاوبار مزوزة عند ما تكون منبسطة على العضو الحامل لها

﴿المنثور﴾ (adpersed, aspersed. (épars, e, f.) صفة للأعضاء المتفرقة بلا نظام واضح. فمثلاً يقال للاوراق منثورة عند ما يكون اصطفاؤها على الساق منتظماً في الواقع لكنه غير واضح (راجع نظام اصطفااف الاوراق phyllotaxis)

﴿المؤنّف﴾ (cuminat (acuminé, e, f., acumineux, euse, f.) هو كل مستطيل الرأس تحيط به تقوسات جوفاء فيطلق على ورقة أو بتلة او على أي عضو نباتي وريي ينتهي فجأة برأس دقيق في قمته. ويجب عدم الالتباس بين الورقة المؤنفة والورقة الحادة فقط. فشجرة الحور المري^(١) وورقتها مؤنفة وكذلك ورقة شجرة البندق^(٢) أما ورقة الدفلى^(٣) فحادة

﴿واحد الأخوة﴾ (monadelphous (monadelphie) صفة عضو التذكير تكون أسديته متحدة الخيوط في حزمة واحدة كما في الخبازي

(١) اسمها العلمي (=P. dilatata Ait.) Populus pyramidalis Salisb وبالانكليزية

Lombardy poplar وبالفرنسية peuplier d'Italie

(٢) اسمها العلمي Corylus Avellana L. وبالانكليزية filbert, haze وبالفرنسية

noisetier, coudrie

(٣) اسمها العلمي Nerium Oleander L. وبالانكليزية Oleander وبالفرنسية

laurier—rose

مديقة المقتطف

أحلام شهرزاد

في الادب العربي

لسيد قطب

(١) أحلام شهرزاد

قصة : للدكتور طه حسين بك

هنا في المقتطف صحيفة الخاصة المصفاة ، حيث نبعد عن الجماهير ولغظ الجماهير . هنا في محراب الفكر حيث نستطيع أن نجرد الداخلين إليه من كل صفة إلا صفة الفن ، وحيث نملك أن نجرد الدكتور طه من رتبة وألقابه ومناصبه — وحتى من ردائه الجامعي — فنبدعوه فقط « طه حسين الأديب » هنا نستطيع أن نقول في « أحلام شهرزاد » كلمة حق خالصة كالتي تقال في المحارب !

لقد قرأ الناس هذه القصة ، فأنا في غير حاجة الى عرضها أو تلخيصها ، ولقد قرأوا شيئاً حولها وحول « شهرزاد » لتوفيق الحكيم في الصحف الاسبوعية ، فأود هنا أن أضع الأمر في نصابه بسلك طريق العرض التاريخي والوزن الفني

قصص « ألف ليلة وليلة » تعد مصدراً لمسرحية « شهرزاد » ولقصة « أحلام شهرزاد » في آن . فلننظر كيف دخلت « شهرزاد » في عالم الأدب الفني في العصر الحديث :

لقد بقيت هذه القصص المعروفة ، شعبية لا تشع شيئاً في عالم الأدب الفني — اللهم إلا دراسات عن هذه القصص ومؤلفيها وعصور تأليفها ومواطنها وكان أول شعاع أرسلته هذه القصص الشعبية الى عالم الفن الأدبي هو قصيدة العقاد في الجزء الاول من ديوانه الذي صدر سنة ١٩١٦ وعنوانها « شهرزاد أو سحر الحديث » وفيها يقول عن « شهریار »
أضمر الشر للنساء حقوداً وأبى الحق أن يكون رشيداً

(١) الحلقة الاولى من سلسلة « اقرأ » نشر مطبعة المعارف بمصر

خفرت عهده فتاة فآلى لا يصونن للنساء عهدوا
 فله طلعة بها أجل الغيد رهين يستنجز الموعدوا
 زهرات يشمها ثم يبري بشبا السيف غصنها الأملودا
 أنفا أن يحس غير شبا السيف نحوراً يلهو بها وقودوا
 الى أن يقول (وهو الاشعاع الجديد الذي أرسلته قصص ألف ليلة وليلة):
 عرفت طب دائه « شهرزاد » فدعته وهو الشقي سعيداً (١)
 كان فظاً فؤاده مغلق النفس كظيماً لا يستلان عنيبدا
 فألانتة بالمقال فأصغى ومن القول ما يلين الحديددا
 وأرتة أحاطي الناس من قبل نحوساً مقسومة وسعودا
 فرأى قلبه وكان فريداً لم يعد بعد في القلوب فريدا
 جذلاً كان صغوه لا غراماً وجد الآن قلبه المفقودا
 وانشى يستطيب من ذلك الثغر الأحاديث لا الرضاب البرودا
 كان هذا أول دخول قصص ألف ليلة وليلة الى عالم الأدب العربي الفني في باب
 الشعر، ثم كانت سنة ١٩٣٤ فأخرج توفيق الحكيم رواية « شهرزاد »
 في باب التمثيليات، ثم كانت سنة ١٩٣٦ فأخرج طه حسين وتوفيق الحكيم قصة
 « القصر المسحور » في باب القصص ثم كانت سنة ١٩٤٢ فأخرج طه حسين وحده
 قصة « أحلام شهرزاد »

هذه هي السلسلة التاريخية لدخول « قصص ألف ليلة وليلة » في عالم الادب
 وإشعاعها في جو الفن في العصر الحديث

فأما الطبيعة الفنية لهذا الاشعاع : فقصيدة العقاد التي نقلنا معظم أبياتها
 تصور لنا المفتاح الذي فتحت به « شهرزاد » قلب « شهریار » وقد كان « مغلق
 النفس » ذلك المفتاح في جزء منه هو انها دعته سعيداً وهو الشقي فألانتة بما
 خيلت له من انه يتمتع بما يتمناه وما يفتقده فلا يلقاه. وفي جزء آخر أنها أرتة
 أحاطي الناس فوجد لقلبه أشباهاً وظائر ولم يجد حظاً فريداً في الحظوظ ولا قلبه
 فريداً في القلوب فأصغى اليها جذلاً بتصويرها للحظوظ والقلوب لاغراماً بها

(١) كانت شهرزاد تبدأ قصصها بندا « أيها الملك السعيد »

وأما تمثيلية توفيق الحكيم فقد بدأها من حيث « أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » حيث استحال « شهریار » ذلك الملك الوحشي انساناً جديداً « خلقتة شهرزاد » خلقاً جديداً « وكأنها كشف لبصيرته عن أفق آخر لا نهاية له » وإنه ليحاول أن يتخلص من الحدود التي تصده وتقيدته عن الانطلاق والمعرفة ، يحاول أن يتخلص من الجسم ومن المكان ، ويحاول أن يحل لغز « شهرزاد » التي تركته في حيرة من أمرها شديدة

وأما قصة « القصر المسحور » فتبدأ بعد تأليف تمثيلية شهرزاد وخلق شخصياتها جميعاً « الملك شهریار والمملكة شهرزاد والوزير قر والعبد ومنصور الجلاد ... الخ » وحيث يشترك طه حسين وتوفيق الحكيم في زيارات لشهرزاد بقصرها المسحور ، وفي شركاء ينصبها طه لتوفيق وينصبها توفيق لطه عند شهرزاد وعند أبطال مسرحية شهرزاد . وحيث يقع الجميع في قبضة الزمن وقبضة التاريخ ، فتدور محاورات ومحامكات فلسفية ليس هنا موضع استعراضها ونقدها على كل حال

وأما قصة « أحلام شهرزاد » فتبدأ بعد تسع ليال من حيث « أدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح » . وحيث طال الصمت على « شهریار » واشتاق الى أحاديث شهرزاد التي خلقت منه إنساناً جديداً « وتركت في نفسه وامام عقله من الانغاز والاسرار ما يكلفه الجهد المضعي » وحيث يحاول أن يحل لغز « شهرزاد » التي تركته في حيرة من أمرها شديدة

ولكن شهریار طه حسين لا يحاول أن يتخلص من المكان ولا من الجسد ، ولا يقوم برحلات طويلة ولا يدخل القنب في سبيل هذا التخلص ، ولا يذهب الى بيت الساحر حيث تذبح الفتاة المسحورة ليقول له رأسها المقطوع « من هي شهرزاد » ولا يأبى في النهاية من شهرزاد ومن الدنيا جميعاً الى حيث لا يعلم مصيره أحد ، كما صنع توفيق الحكيم بشهریاره المسكين !

شهریار طه حسين أطوع وأنس ، وشهرزاد طه حسين تملك من أمر شهریارها أن ترده عن التعلق بالسماء وأن ترشده وتبصره وتقود زمامه في النهاية الى حيث تشاء ، فلا يأبى الى حيث لا يعلم مصيره أحد !

وشهرزاد توفيق الحكيم تحاور شهریارها حواراً فلسفياً مرة ، وتحاول أن تهبط به الى الارض مرة ، وأن تنقذه بإثارة غرائزه مرة . . . ولكنه يَأْبَق الى غير عودة . أما شهرزاد طه حسين فتعبد على شهریارها قصة كقصص ألف ليلة وليلة عن الملك «طهمان بن زهمان» ملك الجن وابفته «فاتنة» فيها جو ألف ليلة وليلة وفيها نسقها . ولكن بها بعد ذلك توجيهاً اجتماعية وسياسية وفكرية حساسة ، بل شديدة الحساسية . تقص شهرزاده هذه القصة على خمس ليال ولكن في «الاحلام» لا في العيان !

وهي لا تقص على شهریار — في الأحلام — هذه القصة فحسب ، إنما هي تحاوره الحوار الفكري مرة ، وتحاول أن تهبط به الى الارض مرة ، وتقوده في نوراق يسبح في النور والموسيقى والماء مرة . . . وهناك تعرض له مناظر فاتنة بحيرة تزيد لغزها في نفسه تعقيداً ، فهؤلاء عذارى مرحات مشرقا يسبحن بزوارقهن والجو باسم والنفوس مرفرفة . أولئك هن الناجيات من شهریار . . . وهؤلاء عذارى محزونات كامفات يسبحن بزوارقهن والجو قابض والصدور مثقلة . أولئك هن الهالكات على يد شهریار

شهریار طه حسين قريب الشبه بشهریار توفيق الحكيم في الانقلاب الذي طرأ عليه وفي أثر شهرزاد وأحاديثها في نفسه ، وشهرزاد طه حسين قريبة الشبه بشهرزاد توفيق الحكيم فيما عدا جانبها الغريزي الذي تصوره علاقتها بالعبد . ولكن الأمر — في الحوادث — يأخذ بعد ذلك في الاختلاف

فأما توفيق فيمضي على طريقته وطبيعته وملابس حياته وأثر المرأة في نفسه ، فإذا شهریار لا يهبط الأرض أبداً وإن لم يبلغ السماء ، ولا يستمع الى شهرزاد ولا يستنم لها كالطفل إلا في لحظات الضعف ، ربما يعتاده نفاذه القديم ! ثم إذا هو يَأْبَق في النهاية الى غير أوبة حتى الآن !

وأما طه فيمضي كذلك على طريقته وطبيعته وملابس حياته وأثر المرأة في نفسه ، فإذا شهریار يستمع الى شهرزاد ويركن اليها ويستريح الى صحبتها ويلتذ توجيهاً وإرشاداً ، وإذا هي تعنى به في نومه ويقظته وفي حركاته

وسكناته حتى لتوطىء له الفراش وتسند به بالحشايا ! ثم اذا هي تقص عليه في الأحلام قصة تخوض فيها في السياسة والاجتماع والحكم كما تشاء !

من قصيدة العقاد، ومن مسرحية شهرزاد ، ومن قصة أحلام شهرزاد تبين ثلاث طبائع وثلاث طرائق ، وثلاثة مظاهر لتأثير نوع الحياة وملابسها في طبائع الفنانين وطرائقهم . فالعقاد في قصيدته هو الأديب المحلل للنفس الانسانية في الحياة ، وللحالات النفسية في تطوراتها وتناوبها ، العليم بمدخل هذه النفس ودروبها ومنعرجاتها ، المتيقظ لمزايا المرأة على اختلافها !

وتوفيق الحكيم في تمثيليته هو الأديب المعني بمسائل الفكر والفلسفة ، المنعزل عن الحياة الواقعة وملابسها ، المبهور بالمرأة الحذر المتخوف منها ، الغامض المبهم الذي لا يصل بشيء الى نهاية ولا يحسم في أمر برأيه !

وطه حسين في قصته هو الأديب المشغول بمسائل المجتمع والحكم والسياسة الضارب في حياة الاجتماع بسهم ، المستروح بالمرأة وأثرها اللطيف في حياة الفرد وحياة المجتمع وتوجيه الفرد وتوجيه المجتمع !

وامتعارض أعمال الأدباء الثلاثة جميعاً يستطيع أن يعطينا مثل هذه الصورة في وضوح وتفصيل ، ولكنه لا يزيد كثيراً على طبيعتها الحقيقية وتلك علامة الاصالة في النفوس والفنون

سيد قطب

لنا جلساء لا نمل حديثهم الباء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علم ما مضى ورأيا وتأديباً ومجداً وسؤددا
فان قلت أموات فلم تعد أمرهم وان قلت أحياء فلست مفنداً

الكتب غذاء الشباب وبهجة الشيخوخة : شيشرون

هذه مكتبتى واية دوقية تساويها ؟ : شكسبير

بَابُ الْمُرَاسَلَةِ وَالْمُنَاطَاةِ

طرائف في الادب واللغة

نحيب شاهين

عود على بدء

الصحافة والاذاعة والسينما المكنى عنها « بالشاشة » طرائق عظيمة النفع في التعليم والتقويم اذا أحسن استعمالها وهي عظيمة الضرر اذا أسيء . واللغة وهي غرضنا الأول من هذا المقال لا تشمل سوى الطريقة الاولى . ونحن موردون هنا ما يعلق بالذاكرة من هفوات صحفنا الكبرى ومبينون سوء تأثيرها في العالم العربي لسعة انتشارها . ولو راعت ذلك لاستطاعت استبدال الأثر الحسن بهذا الأثر السيء الذي ساعدها انتشارها على اذاعته بين الناطقين بالضاد

ومن الأسف ان محطات الاذاعة العربية المنتشرة في العالم العربي وغير العربي تنقل اخطاء صحفنا كما هي لأن مجال التحقيق دونها ضيق . وانصافاً لاذاعتنا نقول انها تنقل عن صحفنا فلا يبقى لها من لغة الاذاعة سوى قليل تسأل عنه . وغني عن البيان ان السينما تخرج عن نطاق بحثنا هذا

ومما يجدر الاشارة اليه ان هذا البحث هو حلقة متأخرة من بحث بدأت سنة ١٩١٨ في المقتطف فنشرت نبد منه بهذا العنوان وبامضاء مستعار هو امضاء « سهيل »

١ — نقل الشعر الغربي الى شعر عربي

هذا موضوع جديد لم يطرقه أحد من قبل وأريد به نقل الشعر غير العربي الى العربية نظماً . ولا يخفى ان كثيراً من الشعر اليوناني القديم نظم الى لغات أوروبا فنظم يوب الشاعر الانكليزي مثلاً شعر هوميروس — الياذته والاولديسى عن حرب طروادة بشعر مقفى واشتغل غلادستون في ساعات فراغه من السياسة بنظم قصائد فرجيل نقلاً عن اللاتينية هذا في الانكليزية أما في العربية فقد نقل بعض الشعر الاجنبي القديم اليها شعراً كالليذة هوميروس نظمها المرحوم سليمان البستاني وحال غلاء ثمنها دون انتشارها وتداول الأيدي لها . ولا أعلم بنقل شعر أجنبي كثير غيرها الى العربية ما عدا منظومات قصيرة نشرت آنأ بعد آن

لهذا الشاعر أو ذاك ترجمها شعراً شاعر عربي في الشام اسمه الشيخ إبراهيم الحوراني في أواخر القرن الماضي وتوفي في أوائل القرن الحالي — أذكر الآن ما يعلق بذاكري منها ترجم مرثية لشاعر إنكليزي لا أذكر اسمه رثي فيها ابناً له فقال :

هل مات لست على اليقين بقادر اذ لا أزال أراه وسط الناظر
لكن اذا حجبتُه عني أدمعي ظلّ الخيال مصوراً في الخاطر
أمضي الى الأسواق صبّاً والهاً فأراه يلقاني بوجه زاهر
فأجسه بيدي واعلم انه ولدي يقيناً ليس صورة ساحر
هل ذاك هو أو ذاك يشبهه فيا لله لست على اليقين بقادر
(ولست واثقاً بصحة صدر البيت الأخير)

وترجم لشاعر آخر أبياتاً نظمها بلسان أرملة تندب زوجها فقال :

خلوا الحزينة عند قبر حبيبها تبكي الى أن تنتهي الأيام
فلعلّ دمعني مطغى نار الأسي ولعلّ عيني بعد ذلك تنام
ولعلّ قربي من زراه نفعي وهما فقد تشفي الضنى الأوهام
وترجم قصيدة طويلة للشاعر لونغفلو الأميركي لا أذكر منها سوى ثلاثة أبيات وهي :

حسب قضاء الله ما تحت الفلك من معشر إلا وفيهم من هلك
وليس في القطعان من قطع بلا فطيم مات أو رضيع
تكاد من ذا الحنف أرواح الجلد تكون أنفاس زفير وكمد

وترجمت أبياتاً للشاعر الإنكليزي اللورد تينسون من قصيدته المشهورة «إن مموريام»^(١) أي للذكرى خاطب بها السيد المسيح عليه السلام فقلت بتصرف قليل في البيت الأول :

أيهدا الحب الخلد يا من نجتليه بأعين الإيمان
اننا لا نراك لكننا نقبل دين الهدى بلا برهان
علمنا بالأمور لا يتخطى ما زراه أمامنا بالعيان
فابعث فينا من سماء الهدى نو رأ فيجلو ظلام ذي الأذهان

وفي ترجمة الشاعر الحوراني رقة لا تنكر ولا سيما أن في ترجمة الشعر الى الشعر صعوبة كثيرة لما يقيد المترجم من القيود التي يعانها المترجمون من النثر الى النثر . ومن نماذج رقة شعره غير المترجم قوله في مدح أسمى اسمه عثمان كان صديقاً له :

(١) — المقتطف : وقد ترجم أنيس الخوري المقدسي استاذ الادب العربي بالجامعة الأميركية ببيروت قصيدة تينسون هذه شعراً وطبعها بعنوان «الذكرى»

يا ناظم الشهب الثواقب في الدجى أتركت للشعراء غير ظلامه
ما أنت عثمان الضرير حقيقة بل أنت ذو النورين في أيامه
لكما أغضيت عن هذا الورى كيلا ترى ذا الجهل فوق مقامه

وانما ألمت في هذه العجالة بترجمة الشعر علماً مني باننا في حاجة ماسة الى الترجمة من شعر الغرب ونثره وربما كانت هذه الحاجة أمس من الكتابة وقد يكون بيننا مترجمون كثيرون يعدون بالمئات ولكن من لنا بنقل الشعر الغربي شعراً عربياً يقال لناظمه «لا فضَّ فوك» أو «هيه هيه» كما قال النبي لأمية ابن ابي الصلت وقد أردفه على ركوبته وطلب اليه ان ينشده من شعره . او يقال له «عشت ونعشت يا زهرة البنج كشت ! وما أشدَّ حاجتنا الى نقل ملحمة الياذة هو ميروس مثلاً الى شعر عربي سهل ممتنع ! خال من كل غريب وقريب التناول كما يوصف شعر هو ميروس في الياذة بحيث يسهل تداوله على ناشئتنا وتفهمه عامتنا ولا تنكره خاصتنا

٢ - كبرى وصغرى وأخرى وأشباهها

ليس بين غلطاتنا غلطة اكثر شيوعاً - بعد لفظة التعريب بمعنى الترجمة طبعاً - من استعمال كبرى وصغرى وأشباهها

فتقول صحفنا ويكتب كاتبونا ان حفلة كبرى اقيمت مثلاً وليس هذا التعبير بالصحيح لان كبرى مؤنث اكبر فكما لا يجوز القول اقيم احتفال اكبر بمعنى كبير كذلك لا يجوز القول اقيمت حفلة كبرى بمعنى كبيرة . وبعبارة أبسط كبيرة مؤنث كبير وكبرى مؤنث اكبر فليس في الأمر مقابلة بيانية فيقال ان كبرى أفصح من كبيرة ، كما قد يتوهم المترجمون وربما حمل على هذا الخطأ شطر ابي نواس في وصف الحجرة وهو «كأن كبرى وصغرى من فقاقعها» . وساعد عليه قول العروضيين فاصلة كبرى وفاصلة صغرى بغير اللام وكلا التعبيرين غلط وهم . جاء في معجمات اللغة :-

«الكبيرة مؤنث الكبير والاكبر اسم تفضيل مؤنثه كبرى والجمع كبر» (بضم ففتح)
وقال سيوييه «لا يقال نسوة صُغر ولا قوم أصاغر الا بالالف واللام . وسمعت العرب تقول الاصاغر وان شئت قلت الاصغرون اي جمع الاصغر بالالف واللام
واقول زيادة في البسط . تقول حفلة كبيرة لا كبرى (بغير الالف واللام) فاذا شئت استعمال كبرى او صغرى او غيرهما وجب ان تضيفها او تدخل «ال» التعريف عليها فتقول :
«هند هي كبرى بنات زيد» او «هند هي بنت زيد الكبرى» . ولو قال أبو نواس :
«كأن الكبرى والصغرى من فقاقعها» لاصاب وأخطأ في الوزن ولكن العروضيين مخطئون على كل حال لأنهم غير مقيدین بوزن فوجب ان يقولوا الفاصلة الكبرى والفاصلة الصغرى

فكبرى مؤنث أكبر وكبيرة مؤنث كبير فكما تقول احتفال كبير ولا تقول احتفال أكبر بل الاحتفال الأكبر كذلك تقول حفلة كبيرة لا حفلة كبرى ومثل كبرى وصغرى لفظة أخرى والمذكر آخر والجمع آخر . وقد جاء في لسان العرب عند الكلام على « ما رب أخرى » و « عدة من أيام آخر » ما يلي ننقله عنه لعل فيه وعظاً وهداية لكاتبين لا يزالون يقولون لنا كل يوم حفلة كبرى وقضية عظمى وعقلية صغرى . قال اللسان : ما رب أخرى (الواردة في الآية) جاء على لفظ صيغة الواحد لأن ما رب (الجمع) في معنى جماعة (الفرد)

وقال تعالى : فعدة من أيام آخر « لأن أفعل الذي معه « من » لا يجمع ولا يؤنث مادام نكرة فتقول مررت برجل أفضل منك وبامرأة أفضل منك فان أدخلت عليه الألف واللام أو أضفته ثنيت وجمعت وأنت تقول مررت بالرجل الأفضل وبالرجال الأفضلين وبالنساء الفضل ومررت بأفضلهم وبأفضلهم وبفضلاهن وبفضلهن ولا يجوز ان تقول برجل أفضل ولا برجال أفضل ولا بامرأة فضلى حتى تصله بمن أو تدخل عليه الألف واللام . وليس كذلك آخر لأنه يؤنث ويجمع بغير « من » وبعد الألف واللام وبعد الاضافة تقول مررت برجل آخر وبرجال آخر وبامرأة أخرى وبسوة آخر » انتهى كلام لسان العرب

٣ — حقيقة استعمال اكتشف

استعملت اكتشف فعلاً متعدياً منذ أوائل النهضة العربية الحديثة في أواسط القرن الماضي واستعملت معها بعض مشتقاتها فقليل اكتشاف واكتشافات والواقع ان استعمال اكتشف متعدياً نادر ومقصود على السماع . فقد جاء في معجم « محيط المحيط » للبستاني عن لفظة « اقتحش » اقتحشه معناه فتشه وهو أفعل للمتعدي وقد ندر استعماله هكذا . وقد أحسن كتابنا المتأخرون استعمال كشف مكان اكتشاف ولعلمهم يوفقون الى لفظة أخرى أوجه منها وأدق ولا بد ان يهتدوا اليها لأن العربية غنية في ألفاظها وهي مغطاة بقشة كما يقول المثل

أما استكشف التي حاول بعضهم احلالها محل كشف فلا تفي بالمرام كما رأى البعض الآخر ورأيه هو الموفق الى الصواب لأن استكشف هي بمعنى طلب الكشف مثل سائر هذه الألفاظ التي من وزن استفعل . فتقول استنزل واستعلم واستنصر واستنجد بمعنى طلب النزول والعلم والنصرة والنجدة الى آخر ما هناك وما خالف ذلك فسماعي نادر

[المقتطف] يسر المقتطف ان يتلقى آراء الأدباء واللغويين في هذه المسائل وما كان

من قبيلها استيفاءً للبحث

بَابُ الْإِخْبَارِ الْعِلْمِيَّةِ

التلفزة في الحرب الحالية

والمناظر الليلية ومنافعها

تجربة التلفزة في المناورات

راجت أقوال كثيرة بشأن استخدام أجهزة الرؤية عن بعد أو الراديو المصور أو التلفزة الحربية ، في رقابة الأهداف واستطلاع حركة الأعداء. ولا جرم أن كل دولة من الدول الكبرى قد جربت هذا المخترع بغية الانتفاع به. وما يذكر في هذا الصدد أنه في سنة ١٩٤٠ استصحب مهندسو معاهد أبحاث شركة دومون الذين شهدوا مناورات جيش الولايات المتحدة الأميركية ، جهازهم المتحرك الناقل للمناظر من بعيد ، متوسلين إلى بغيتهم بآلة مصورة متحركة أخفوها عن أعين رقباء الأعداء ونصبت السواري في (الخطوط الحربية الأمامية) فرأى الضباط الذين كانوا في مركز القيادة العامة كل شيء كان يحدث في ساحة القتال في حال حدوثه.

ويستعمل الراديو المصور لنقل صور الوقائع والمناظر البعيدة في أثناء حدوثها لأجل الرقابة في النهار كما يستخدم في الليل وفي أثناء انتشار الضباب الكثيف . وقد أطلق على هذا

كشاف الطائرات الحربية

قلت في مقالي على كشاف الطائرات الحربية والاشعة التي تحت الحمراء الذي نشر في مقتطف يونيو سنة ١٩٤١ أنه قد أشيع حديثاً أنه يظن أن بريطانيا العظمى تستعين بأجهزة حساسة من هذا الطراز لاستكشاف طائرات الأعداء التي تطير في أجوائها. لشن الاغارات على أهدافها . ومبعث هاتيك الاشعة الخفية محركات الطائرات أو أي جسم ساخن ، فتتم الاشعة على ذلك الجسم الخفي بوسيلة تشبهها في المظهر الكهربائي الذي اخترع حديثاً . ويقال إن جهازاً أميركياً من هذا النوع قد تمت تجربته في التمرينات الحربية التي قام بها حديثاً الجيش الأميركي الاول ولكن لما تنشر بشأنه معلومات ما . (انتهى)

ولعل المعلومات الوافية الآتية التي وافتنا بها مجلة خلاصة العلم الأميركية في أحدث ما وصل إلينا من أجزائها لا تدع مجالاً للشك في أن المنظار الليلي من أعظم وأبرع الوسائل الدفاعية المستعملة في هذه الحرب

به حينئذ من الرؤية في الظلمة والضباب وعقبه بعد ثماني سنوات فلاديمير زووريكين الذي أشيع عنه انه اخترع في أثناء تجاربه العلمية الخاصة بالتلفزة مقراباً (تليسكوباً) كهربياً استطاع به امتجلاء غياهب الظلمة وتقريب الابعاد واخترق الضباب الخفيف وذلك بوساطة أشعة مادون الاحمر استكشاف السفن في الظلام والضباب واخترعت آلات مصورة للاشباح البعيدة ليستدل بها على مواقع الطائرات المحلقة في الجو ليلاً وفي أثناء انتشار الضباب وذلك باستكشاف أشعة مادون الاحمر التي تنطلق من محركات هاتيك الطائرات. وفي سنة ١٩٣٨ منح امتياز باختراع طريقة لكشف الاشباح التي لا تنبعث منها أشعة مادون الاحمر وهي طريقة هينة محكمة، وتفصيلها ان البارجة اذا قيدت اضاءة مصابيحها تقييداً تاماً حال ذلك دون انبثاق أشعة مادون الاحمر من مصابيحها، فتتوارى عن العيان في الضباب الكثيف في ليلة ليلاء، وتقف محركاتها عن العمل، فيستحيل كشف موقعها بأجهزة الهيدروفون أي الكشافات التي تلتقط أصوات المحركات وأصوات مراوحها ففي هذه الحالة استخدمت آلة تصوير مقربة للاشباح تحس بأشعة مادون الاحمر، واستعمل مصباح كهربى كشاف قوي تنبثق منه موجة من هاتيك الاشعة الخفية فتنتطق من ذلك المصباح موجة الى حيث يخيم الضباب

الفرع من التلفزة اسم noctovision أي الرؤية في الليل، أو التلفزة الليلية أصل التلفزة الليلية

تبين چون بايرد في تجاربه الابتدائية في التلفزة أن الضوء الشديد جداً الذي يحتاج اليه لالتقاط صور الوقائع والاشخاص ونقلها يزعج الاشخاص الذين يراد نقل صورهم على ذلك المنوال فخطر له أن أصوب الوسائل لتصحيح هذا الخطأ هو استعمال الضوء الخفي بدل الجلي

فجرب في أول الأمر أشعة ما وراء البنفسجي فثبت له أنها غير صالحة لذلك الغرض. فاتجه صوب الطرف الآخر من الطيف الشمسي حيث أشعة مادون الاحمر فجربها أيضاً فتحقق ان قدرتها عظيمة على اختراق السحب والظلمة. وان تكن العين البشرية لا تستطيع رؤيتها. غير أن بايرد أتبع له في سنة ١٩٢٦ صنع بصاصة كهربية تتمكن من مشاهدتها أو الاحساس بها فصار في وسعه بوساطة هذه الاشعة رؤية الاشخاص في الظلمة ونقل صورهم الى حيث يرغب وان يكن المرء النقلة صورته بهذه الوسيلة لا يستطيع حينئذ رؤية كفه أمام وجهه. فسمى بايرد هذا النوع من التلفزة بالليلية

والضباب خفيفاً كان أو كثيفاً والدخان يخترقهما الضوء اختراقاً نسبياً. وأنشأ چون بايرد جهازاً لالتقاط المناظر الليلية وعرضه عرضاً عاماً في شهر اغسطس سنة ١٩٢٩ فتمكن

فتخترقه، على ان تقتزن حركته بالآلة المصورة المشار اليها . وعندما تمر تلك الموجة بالالواح الفولاذية في درع بارجة ينعكس عنها أشعة ما دون الاحمر فتلقطها الآلة المصورة ومن ثمة يمكن تعيين موقع البارجة

وعند التوصل بهذه الوسيلة تستعمل وحدتان من ذلك النوع، فتركبان في السفينة المطاردة، فيتاح تعيين المنطقة العامة التي اختفت فيها المدرعة المعادية، وكذلك معرفة اتجاهها وبعدها بالضبط . ويكون هذا ميسوراً باستخدام النتيجة الحسادية التي تحصل من الرؤية بالعينين كليهما ، بدلاً منها بعين واحدة . وما زالت هذه الطريقة مستعملة منذ سنوات في الحرب وذلك في مقاييس ابعاد الاهداف التي تسدّ نحوها المدافع من البر والبحر . وتنفع مقاييس الابعاد والمراقب المشار اليها في حالي زوال الضباب ووجود ضوء كاف للعين البشرية لتبصر ما تطمح اليه . وباختراع المنظار الليلي واتقانه أمكن اختراق أكشف طبقات الضباب وأشد الليلي حلّة استكشاف المدن المظلمة من الجو

ويستعمل المنظار الليلي في الجو والبحر فالطيار المحلق بطائرة قاذفة للقنابل على مدينة من مدن الاعداء مقيدة الاضاءة في وسعه رؤية هدفه ان كانت طائرته مزودة بجهاز من أجهزة أشعة مادون الاحمر للرؤية عن بعد، لأن الوسائل المعتادة لتقييد الاضاءة لا تحول دون مشاهدة الاهداف حتى في الليلي الداجية

في الضباب الكثيف . وما يؤيد ذلك انه في سنة ١٩٤٠ أغارت الطائرات الالمانية على مدن روتردام ولندن وكوفنتري فضربتها بقنابلها مع انها كانت مقيدة الاضاءة وحينئذ فطن ولاية أمورها الى ان هاتيك القاذفات الالمانية كانت مزودة بالمنظير الليلية . فما كشفوا ذلك السرّ حتى هبوا المناوأة بوسائل شتى ومن هذه الوسائل الاضاءة الظاهرة بدلاً من الاضاءة المقيدة . وقد أشيع في سنة ١٩٤١ ان الروس استعملوا هذه الطريقة فأسفرت عن نجاح باهر في الدفاع عن مدينة موسكو وذلك انه عند عبور قاذفات القنابل النازية على تلك المدينة تبين رجالها ان المصابيح العادية للبيوت والشوارع كانت مظفأة ومع ذلك كانت هناك مئات من المصابيح الكهربائية الكشافات تتأجج أنوارها في الجو تأججاً شديداً حال دون اهتداء تلك القاذفات الى اهدافها الحربية وكان قوام ذلك التدبير الاضاءة بالضوء المكشوف . ويتسنى اتباع هذه الطريقة عينها ضد الطائرات المزودة بالمنظير الليلية لان المصابيح الكشافات المألوفة ذات الاضواء الظاهرة هي ايضاً تشع منها أشعة ما دون الاحمر أي أشعة حرارية فيضطرب التلقاز الليلي

واذا تقرر تقييد اضاءة مدينة ما أتيج استعمال مصابيح كشافات ذات أضواء خفية من أشعة ما دون الاحمر بغية تضليل الآلات المصورة التي تلتقط المناظر الليلية

استكشاف الطائرات المغيبة

وفي سنة ١٩٤١ منح امتياز باختراع كشف للطائرات . وكان المعروف وقتئذٍ ان ذلك الجهاز يبين الطائرات المعادية المغيبة وذلك بأشعة ما دون الاحمر التي تنطلق من محركاتها كما انه يستطيع التقاط مثل تلك الاشعة من مداخل البوارج المعادية . وكان المقصود ايضاً ان يقوم الجهاز نفسه بكشف الاشباح الخفية التي تشع منها الاشعة الحرارية ثم انه يصور صورة جلية لذلك الشبح الاصلي الصادرة منه الاشعة الحرارية وكذلك يمكن استعماله في اظهار الطائرات الخفية وراء السحب او في الضباب . واستعماله ايضاً في ارشاد الطائرات الى مهابطها في اثناء تخميم الضباب عليها وذلك باشارات ظاهرة من النقط المقصودة، تتولد من الاجهزة التي تشع منها الاشعة الحرارية . وعلى هذا المنوال تتاح مشاهدة مهبط الطائرة وذلك في التلفاز اللاقط المركب في الطائرة

الاهتداء الى مطار محجوب

وفي سنة ١٩٤١ ايضاً نال الفريد. ن. جول سميت امتيازاً باختراع جهاز للراديو المصور يركب في الطائرات يستطيع بها ربانها رؤية مطارده على حجاب جهاز الراديو المصور وكلما دنا من ذلك المطار كبر حجم الصورة امامه . وثمة طريقة اخرى لاستعمال الراديو المصور في الحرب الجوية اذ يعبر خبر اكتشاف البريطانيين اياها في سنة ١٩٣٨ اذ اتضح لهم

ان موجات اذاعات الراديو المصور ذات الذبذبات الشديدة جداً يتسنى استخدامها في استجلاء الطائرات المعادية القاصدة الى سواحل انكلترا وان تكن على أميال منها . لأن الاشارات اللاسلكية التي تذاع من تلفاز شركة الاذاعة البريطانية تصدم الطائرة القادمة ثم تنعكس عنها صوب الأرض فاستخدم ذلك الاكتشاف وتم تحسينه حتى صار كشافاً خطيراً ناجحاً في مقابلة الطائرات المغيبة وغدا من دعائم الدفاع عن الجوائر البريطانية . ويمكن تركيب هذا الجهاز في المطاردات الليلية ونصبه على سطح الأرض على السواء

طائرة مسيرة ومجهزة بالتلفاز

ويستعمل الراديو المصور سلاحاً ماضياً في التطوير الجوى وتفصيل ذلك : انه في نوفمبر ١٩٣٨ نشرت مجلة الراديو والتلفزة مقالاً كتبه منابريا U. A. Sanabria جاء فيه قوله : —

« لعلكم قد سمعتم خبر (فرق الانتحار) المؤلفة من رجال يلقون بأنفسهم الى التهلكة في المقذوفات الشديدة الانفجار . والوجه ان الوحدات التي يؤلفونها هي قتال بشرية حقيقية ملأى بتلك المواد وتسيرها أيدي بشرية فتسير على هيئة مركبات برية وسفن جوية ومزيج للجليد والمياه ، وتمتاز بسرعتها الفائقة وبراعتها في التمرينات الحربية وتنفع هذه الفرق كسلاح للدفاع والهجوم

ميان إذ تحتشد في مكان واحد لسحق العدو مضحية بأنفسها كل التضحية لنيل بغيتها . ولذلك يندر وجود أمثال هذه الفرق نسبياً رغم المجد الذي يناله أفرادها بانتحارهم وبيع أرواحهم ببيع السماح في سبيل واجبههم فتصور اذن طائرة صغيرة ذات شكل مشيق (مساير للريح كل المسيرة) ، تسيطر عليها الموجات الكهربائية اللاسلكية . وافرض ان الجهاز المرسل لتلك الموجات الموجهة الى الطائرة موضوع في طائرة أكبر منها حجماً ، وان في الطائرة المسيّرة باللاسلكي جهازاً لتلقي هاتيك الموجات وانها موسوقة بحمل من المواد المنفجرة في جسمها الصغير المسيّر من بعيد باللاسلكي وانها مزودة بكبسولة تفجر حمولتها حينما تصطدم بهدفها . وثق ان ذلك الطوربيد المسيّر باللاسلكي قد أسفرت تجربته عن النجاح وأصبح استعماله في حيز الامكان عند ما تمس الحاجة اليه»

أحدث أخبارها

وفي اغسطس سنة ١٩٤٠ أشيع أن الدكتور لي ده فورست كان يعمل مع سنابريا في استكمال طائرة من هذا الطراز المزود بالراديو المصور . وفي هذا الصدد قالت جريدة الراديو اليومية فيما بعد ذلك بزمان وجيز : يتوقع الدكتور لي ده فورست تحسين طائرة طوربيدية بلا قائد مجهزة بالراديو المصور وان الجهاز الجاري تجربته الآن يمكن صنعه من العجائن الكيميائية الرخيصة

نسبياً او ما يشبهها دون الحاجة الى سلاح أو أجهزة ثمينة ما

ولن يحمل ذلك الطوربيد الجوي مخلوقاً بشرياً لأن طيرانه سيتم بالراديو من باخرة المأوى التي تبعد عنه ١٠ اميال او اكثر . وسيركب في مقدم تلك الطائرة الطوربيدية وجوانبها الرأسية أجهزة ايكو نو سكوب طبقاً لوصف اخترعها»

فاذا ركب في تلك الطائرة ذات الراديو المصور والطوربيد منظار ليلى ثم كتم أنبوب البخار العادم تمكنت من الطيران ساكنة صوب هدفها على ارتفاع عظيم في جوف الليل وان وقف المحرك الميكانيكي من تلك الطائرة وأطلقت الى أسفل لتقطع الثلاثين ميلاً الاخيرة من رحلتها نحو هدفها في وسط السحب والضباب متوارية عن الابصار وصوتها لا يكاد يسمع ، كانت تحت السيطرة التامة لقائدها الذي يبعد عنها اميالاً وهذا القائد البعيد عنها يكون في وسعه مع ذلك رؤية هدفه . فتصور مبلغ ما تستطيعه حينئذ تلك الطائرة من التدمير بل تصور ذياك الطوربيد الجوي المقل لعدة اطنان من المواد الشديدة الانفجار . وكما يكون مقدار الدمار الذي تحدثه عشرة آلاف او عشرين الف طائرة من هذا الطراز اذا أطلقت جميعها في هجوم واحد ووقت واحد على اصقاع مختلفة في دولة واحدة في تلك الليلة الغائمة الظامء

عوض جندي

تجفف الطعام فف مصر

والآنفة الزاجفة والمواال كففماففة والوقوء؁
مما فمكن الاسفغنافف عنه فف صنافة تجفف
الفافكة والفسرافااا ومن الوسافل الالف
ففأفها قسم البسافف لفشر هفاه الصنافاا
الزراففة؁ ولعمفمها ففسفر اافلااا المسففلف
بالاعمال الصناففة على ننافف فجاربه . وقء
أنشأ هفا الغرض مصففف فموءففف
لتجفف البصل

ومن أااف فجارب ذاك القسم ففلل
الزفئون الاسوء المصرف فففسف فواصف
بفف ففل فلل الزفئون الاسوء الالف كان
فسفوء من الفارف قبل الحرب ثم فركفز
عصفر البرفقال واعاءاه على شكل عفففة كفففة
فسفل ففظها فف أوان بسفطة لا فأاها شراباف
او الالفاف بها فف ففر هفا من الافراض
وكذلك وفق الاساف فمء على كساب
المشرف على الفجارب المشار ففها؁ وهو
مفأففف فف هفا الفن من فامعة كلففورفا
فف امفركا الى فركفز عصفر الطهام وفعله فف
شكل قمرالفف بففف فمكن ففظه مءة طوئلة
ءون فعرضه للفساء

وقء أاف هفا الفرففة الى الففلب على
مشكاة (العبواا) الالف فعدف فف مقءمة
ما فعرقل نشااا الصنافاا الزراففة فف
الظروف الفاضرة

فذكر القراءاا ما نشرناه فف « مقففف »
فبرفر الماضف فف موضوء « تجفف الطعام »
وأسالفه وما له من منزلة فف الحرب . والى
القراءاا ما نشرفه فرففة الاهرام الصاءرة فف
بومف ٢٥ / ١١ / ١٩٤٢ و ٩ / ١٢ / ١٩٤٢
بشأن الصنافاا الزراففة ولا سفما تجفف
فف الملكة المصرفة : —

فقوم قسم البسافف فف وزارة الزرافة
هفا الايام بطائفة من الفجارب الفاففة
بالصنافاا الزراففة رغبة فف النهوض بها فف
فسفلفع البلاء فف المسففل القرفب الاسفعاضة
فمنفجافها عما فسفوء من الفارف . ومن أهم
هفا الفجارب تجفف الفواكه والفسرافاا
مثل الفافح البلفف والكمثرى والباطس
والباطاة والطهام والجزر والبصل والفوم ففء
اسفطاع الفففون ففضرها فف شكل فقع
صففرة أو مسافف فسل ففظها واصءارها
الى الفارف . وكان من ننافف ذاك أن أصبح
معظم ففصول البصل المصرف ففءر الآن فففافاف
فلا فشفل من الامكنة فف السفن إلا عشر ما
فشغله اذا صءر طازجا . ومما فذكر أن من
أقوى البواعاا على الففام بهفا الفجارب
صعوبة الفصول فف الوقت الفاضر على
الفءماا والمواا الاولة اللازمة لففظ
المصنواا الزراففة وأهمها العلب الصففف

الحرب الاقتصادية والغارات الجوية

أهم الأهداف الاقتصادية والصناعية في اليابان مقدماً فيها الأهم على المهم . وقد أُلقيت القنابل على بعض هذه الأهداف التي تعد في الطبيعة منزلة وشأنًا

والتقديم والتأخير ، في منزلة الأهداف يتباين وفقاً لسير الحرب . فمن الواضح الآن ان الأهداف المقدمة على غيرها في الغارات البريطانية والأميركية على أوروبا والبلدان المحتلة ، هي الأهداف التي تتصل عن قرب أو عن بعد بصناعة الغواصات أو إصلاحها وترميمها . ويليهما منزلة وأحياناً قد يعادها الهجوم على المواصلات الحديدية ، والقطارات ولاسيما قاطراتها . لأن المواصلات الحديدية في أوروبا مرهقة أرهاقاً عظيماً ، والحاجة كبيرة الى القاطرات ولذلك قدّم صنع القاطرات في المانيا على كثير من أدوات القتال نفسها . وكل تعطيل تصاب به شبكة المواصلات يعرقل تموين الجيوش الألمانية أينما كانت ، ويفرض على قيادة التوطين والنقل استعمال السيارات وهذا يفضي بدوره الى زيادة المستهلك من النفط ومشتقاته

عند ما اغارت القاذفات الاميركية على اليابان في السنة الماضية ، أخذ الطيارون المخبرون طائراتهم وقنابلهم من الجيش الاميركي ، ولكنهم لم يلحقوها اعتباراً . وعند ما يغير الطيارون البريطانيون على المانيا أو إيطاليا ، يتجهون الى أهداف تعين لهم تعييناً دقيقاً . والأهداف في الحالين تختارها في كثير من الاحيان الهيئات المشرفة على الحرب الاقتصادية . ومهمة هذه الهيئات أن تتعمق في دراسة النظام الاقتصادي والصناعي في البلد الذي تنتظر الاغارة عليه . ثم يختارون ما يعدُّ عقداً حيوية في هذا النظام ، حتى اذا دُمّرت عقدة منها أو أكثر أحدثت تدميرها تعطيلاً كبيراً في الانتاج الصناعي الحربي . والهيئات البريطانية والأميركية المشرفة على الحرب الاقتصادية تتعاون تعاوناً وثيقاً وتبادل الحقائق التي تجتمع لديها وتنسق وتبوّب وتقارن

وعند ما تأهب الطيارون الأميركيون للاغارة على اليابان كان مجلس الحرب الاقتصادية الأميركي قد أعدّ لهم كشفاً مفصلاً ذكر فيه

مناجم القصدير في انكرا

في تجارة العصور القديمة ولاسيما في عهد الفينيقيين ومعظم هذه المناجم عميق جداً الآن ، وعمق بعضها يزيد على ألفي قدم ومنها ما يبلغ عمقه ثلاثة آلاف قدم

عاد الانكاز الى استخراج القصدير من المناجم التي في جنوبي بلادهم الغربي (مقاطعة كورنوال) بعد ما فقدوا مناجم القصدير في مالايا . ومناجم القصدير الانكليزية مشهورة من قديم الزمان وكان لها شأن كبير

منافع عنصر الانديوم

يكثُر في ولاية اريزونا الاميركية . والمقدار الذي يستطاع استخراجه منه يقدر بمليون غرام كل سنة ، فلا تكلف الاوقية منه أكثر من عشرة قروش

ومن وجوه الانتفاع به انه يصلح للاستعمال في كرات المحاور (البيل) فيجعلها صلبة مقاومة للضغط وللتأكل بفعل الأحماض التي تكون في مواد التشحيم . ويصلح لصنع « الملائم » المستعملة في حشو الأضراس فهو يقاوم ضغط الفكين ولا يكمد بفعل الأحماض في الفم . ويصلح كذلك لصنع المرايا المقعرة في مصابيح الأضواء الكشافية . ويجوز أن يحل محل الكروم والنيكل في الطلاء لانه يصقل فيلمع ولا يكمد

عنصر الانديوم فلز كان نادراً ولكنه ما غير نادر الآن بفضل باحث أميركي يدعى الدكتور وليم مري . وهو فلز أبيض كالفضة ليس يسهل مده وطرقه ، يفوق وزن الحديد النوعي ضعفين وأخف من الرصاص . ولكن اذا أضيفت مقادير يسيرة منه الى بعض الخاليط الفلزية اللينة صيّر لها صلابة قاسية ، واذا كانت مكثدة صيّر لها لامعة

كشف هذا العنصر في سنة ١٨٦٣ ولكنه ظل نادراً حتى عني به الدكتور مري . وكان لا يوجد منه مخضرأ سنة ١٩٢٤ عند ما اهتم مري به إلا جرام واحد وكان أغلى كثيراً من البلاتين . ولكن مري استنبط طريقة لاستخراجه من ركاز زنك

حرارة الخيارة أو برودتها

ما كانت حرارة الجو ٩٨ درجة بميزان فارنهایت او ٣٧ مئوية فنقبت الخيارة وزجّت فيها مقياس حرارة ثم اعادت تجربتها مراراً فوجدت ان الفرق بين حرارة باطن الخيارة وحرارة الجو حولها عشرون درجة بميزان فارنهایت او أكثر قليلاً من ١١ درجة مئوية فعند ما تكون حرارة الجو ٩٨ فارنهایت (٣٧ مئوية) تكون الحرارة في باطن الخيارة ٧٨ فارنهایت (٢٥ ١/٢ مئوية)

يضرب المثل في بعض اللغات الأعجمية كالانكليزية ببرودة الخيار فيقال مثل في صدغي طفل يبدو انه محروور : ان صدغيه أبرد من خيارة

فهل لهذا المثل أساس من الحقيقة العلمية وما الفرق بين حرارة — أو برودة الخيارة — وحرارة الجو حولها

عنيت ممرضة جراحية بالرد على هذا السؤال فأجرت تجارب في خيار كثير عند

مكتبة المقتطف

مساجد القاهرة قبل عصر المماليك

لمحمد عبد العزيز مرزوق — صفحاته ١٢٢ صفحة — وطبع بمطبعة عطايا بمصر

أضم مصر تحت سمائها سلسلة متماسكة الحلقات من المساجد في العصور الإسلامية المختلفة ودراسة هذه المساجد من الناحية الأثرية هي في الواقع دراسة للتاريخ الإسلامي في شتى عصوره . وقد تناول المؤلف في هذا الكتاب مساجد القاهرة قبل عصر المماليك ، وانتفع في بحثه بما كتبه المؤرخون المسلمون عن هذه المساجد ، وأخذ من كتبهم زبدة أبحاثهم في غير تطويل وجعل وجهته أن يجلو على القارئ صورة واضحة للعالم لما كانت عليه تلك المساجد وقت انشائها ، وأن يربط بين كل مسجد وبين ما تقدمه من الآثار الإسلامية سواء في داخل مصر أو خارجها كلما أمكن ذلك ، وأن يرجع كل ظاهرة معمارية إلى أصلها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً . ولقد كان لزيارته للآثار الإسلامية خارج مصر : في القدس والخليل ودمشق وأشبيلية وقرطبة وغرناطة وطليطلة وتونس والقيروان والمهديّة وموسى ، أثر كبير في ذلك فضلاً عما استفاده من المؤلفين العظميين الذين وضعهما في العمارة الإسلامية العلامة كرزول Creswell استاذ هذا الموضوع في جامعة فؤاد الأول ومن محاضراته النفيسة التي تلقاها عليه في أثناء الدراسة بمعهد الآثار الإسلامية

كما أنه رأى أن يقف قليلاً بين ما يحتويه كل مسجد من كتابات معاصرة لانشاءه ، محاولاً أن يستشف ما وراءها من المعاني ، وقد استعان على ذلك بالأبحاث النفيسة التي قام بها الاستاذ فان برشم Van Berchem وأتمها بعده الاستاذ جاستون فييت Gaston Wiet مدير دار الآثار العربية

وقد أغفل عن قصد ذكر ما دخل على المساجد من الإصلاح أو التغيير بعد انشائها ، حرصاً على بقاء الصورة الأصلية لكل شيء واضحة في ذهن القارئ فيسهل عليه ادراك التطور ، ولم يخرج عن هذه القاعدة إلا في مسجد عمرو اذ قدم صورته التي كان عليها سنة

٢١٢ هـ لأن أقدم ما في المسجد القائم اليوم هو بعض أجزاء الجدار الغربي التي ترجع الى ذلك التاريخ ، أما المسجد الأصلي فلم يبق منه إلا جزء من الأرض التي شيد عليها ووضعاً للحقيقة في نصابها أشار المؤلف الى أمور أربعة : الاول انه نشر هذه الأبحاث ملخصة في « مجلة الأزهر » تحت عنوان « تطور التصميم والزخرفة في مساجد مصر » ولكنه أعاد قراءتها وأضاف إليها وحذف منها . بل قل انه كتبها من جديد وزادها ايضاحاً بما أضافه إليها من صور ورسوم . والثاني انه استعمل كلمة القاهرة في عنوان الكتاب بمعناها الحديث المعروف بينما الآن لا بمعناها التاريخي . والثالث انه في تحديد جهات المسجد اعتبر الحراب كأنه في الجنوب وليس في الجنوب الشرقي من المسجد كما هو الواقع وذلك تسهيلاً للفهم وتقديراً من التثقل على القارئ . والرابع انه أثبت في آخر الكتاب مراجع كل فصل على حدة ، وتوَّج كل ثبت من هذه المراجع ببيان المكان الذي يوجد به المسجد موضوع الدرس ليسهل الوصول اليه

والكتاب مطبوع طبعاً جيداً ومزيناً بأحدى وعشرين لوحة من الصور البديعة مطبوعة على ورق صقيل يعد غاية الترف في الطبع الآن

« إقرأ »

سلسلة كتب شهرية للجيب — في ضروب الثقافة العامة

بدا مكتبة المعارف ومطبعتها في مصر أن تحقق فكرة ما فنتت تجول في ضمير كثير من المثقفين والمشتغلين بشؤون الثقافة ونشرها في البلدان العربية اللسان وهي فكرة نشر سلسلة من الكتب الشهرية الصغيرة الميسرة المتقنة طبعاً الماثلة حجماً الرخيصة ثمناً ، في شتى موضوعات الأدب والعلم والتاريخ والسياسة والاقتصاد . فتكون زاداً فكرياً لقراء اللغة العربية يستسيغونها الجمهور وترضى الخاصة عنه . وعندما صححت عزمها على هذا استشارت فريقاً من أصحاب الرأي فشجعوها وشددوا عزمها على المضي في مشروعها . وقد استعانت على تنفيذه بالأساتذة الدكتور طه حسين بك والنظون الجميل بك وعباس محمود العقاد وفؤاد صروف . وستعتمد في مواصلة العمل على كتاب العربية في جميع الأقطار ، غير ناظرة في ما يعرض عليها من الكتب والمؤلفات لهذه السلسلة إلا من ناحية الخير العام وبرغم المشاق التي تعانيها المطابع اليوم من غلاء الورق والحبر شرعت مكتبة المعارف

ومطبعتها في اصدار هذه السلسلة التي سميها سلسلة « إقرأ » والاسم من مقترحات الاستاذ احمد أمين بك . وقد صدر الكتابان الأولان وهما « أحلام شهر زاد » للدكتور طه حسين بك . و« شاعر الغزل » للاستاذ عباس محمود العقاد . أما أحلام شهر زاد » فيجد قارئ المقتطف كلاماً عليه في باب حديقة المقتطف من هذا الجزء صفحة ٣١٣ وهو جزء من فصل تمتع عقده الاستاذ سيد قطب على فكرة « شهر زاد » في الأدب العربي الحديث

— شاعر الغزل —

وأما « شاعر الغزل » فدراسة أدبية فنية في عمر ابن أبي ربيعة . في الفصل الأول سيرته موجزة . وفي الثاني خصائص عصره . وقد قال الاستاذ العقاد في إحدى هذه الخصائص :

« ويستغرب قارئ الديوان أن ينصرف شاعر في جميع شعره الى هذا الغرض (الغزل) دون غيره وهو استغراب معقول يرد على كل خاطر للوهلة الأولى ، اذا اقتصرنا على النظر الى الديوان وحده وقبلنا بين موضوعاته وموضوعات الشعراء المشهورين في الدواوين الكبيرة . ولكنه استغراب لا يلبث أن يزول أو ينقلب الى تقيضه اذا تجاوزنا الديوان الى العصر الذي نظم فيه الديوان والبيئة التي عاش فيها الشاعر . فرمما أصبح العجب عندئذ أن يتمخض ذلك العصر عن ديوان واحد ولا يتمخض عن دواوين شتى من هذا القبيل ، وأن يكون ابن أبي ربيعة شاعراً فرداً في مجاله بغير نظير يحكيه في اكثاره وانقطاعه وقد كان ينبغي أن يفتن به نظراء متعددون . لأن العصر الذي عاش فيه ابن أبي ربيعة في تلك البيئة التي نشأ بينها كان عصر غزلياً في جميع أطرافه . . . »

ثم جال المؤلف طبيعة غزل عمر بن أبي ربيعة ، وصناعته وذوقه في جمال المرأة ، وجمع طرفاً من نواياه وأخباره وختم الكتاب بمختار شعره . وقد قل في تقديم هذا المختار : « تملخص أغراض المنتخبات في ثلاثة : أحدها أن نختار للشاعر ما ينبي عن حاله وله فائدة في التعريف بحقيقته النفسية أو بحقيقة عصره وسيرة حياته . وثانيها أن نختار له الحسن من شعره وإن لم ينبئ عن شيء من سيرته وخلقه . وثالثها أن نختار ما هو مستجد من الوجهة الفنية سواء نظرنا اليه أو نظرنا الى الحسن المستجد من أقوال جميع الشعراء . . . » وهذا المنتخب يجمع بين الأغراض الثلاثة

روح التربية والتعليم

تأليف محمد عطية الابراشي — الأستاذ بدار العلوم — صفحاته ٤١٢ من قطع المقتطف —
نشرته مكتبة ومطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر

هذا الكتاب أشبه ما يكون بدائرة معارف صغيرة في التربية ففي فصوله الاربعة عشر تتلاحق الآراء النظرية والفلسفية والارشادات العملية . فالكتاب متعة فكرية ومرشد عملي في آن واحد . ونحن نكتفي هنا ببعض ما قدّم به المؤلف كتابه ، لأننا عرضناه على احد الثقاة في التربية من ناحيتيها الفلسفية والعملية . لا بداء الرأي الفني فيه .

« مشا كل التربية من قديم الزمان كثيرة معقدة ، وكلا وصل العلماء الى حل طائفة منها حلاً مرضياً نشأت مشا كل اخرى تتطلب الحل السريع ، والتفكير السديد ، ولكن همهم العالية ، وغاياتهم السامية كانت تذلل العقبات ، حتى كملت جهود أولئك المربين بالنجاح الباهر ، والتقدم العظيم

« واليوم أتقدم الى المتقنين عامة ، والمشتغلين بشئون التربية والتعليم خاصة ، بكتاب هو ثمرة كثير من التجارب التي لمستها في انحاء قبلي بالتفتيش ، وما شاهدته في دروس التربية العملية ، وما قرأته من كتب ، وما انتفعت به من آراء كبار المربين والمصلحين

« وقد كان رائدي في عرض بحوث هذا الكتاب : « روح التربية والتعليم » أن أختار أحدث الآراء والنظريات التي يمكن الانتفاع بها ويسهل تطبيقها في مدارسنا المصرية ، فشرحتها بأسهاب ، ثم وضعتها بكثير من الأمثلة ، لينتفع بذلك المربون والمربيات انتفاعاً يمد أمامهم سبيل النجاح في مهنة التدريس

« ولقد وجهت عنايتي الى بسط كثير من التجارب العملية التي تتجدد كل يوم بين جدران المدارس ، ليتخذ منها المدرسون ورجال التربية ما يسهل الكثير من شئون مهمتهم في الحياة . فتجعلهم أكثر إفادة ، وأقرب الى الصواب في العمل

« وكنت أود مخلصاً أن تكثر كتب التربية باللغة العربية ، لأننا مازلنا في حاجة الى كثير من الكتب التي تعالج شئون التربية قديماً وحديثاً ، وتبحث في كثير من نواحيها المتشعبة ، ليسترشد بذلك المعلمون والمعلمات ، ولتكون نبراساً يهتدون بهديه ، ولينتفعوا بها في تقويم الموعج ، وإصلاح الخطأ

« وسيجد هؤلاء وكثير غيرهم أن هذا الكتاب قد بحث كثيراً من الموضوعات الحديثة في التربية التي لم تكتب بالعربية قبل اليوم

قصص

- ١ — صوت باريس ... للدكتور طه حسين بك — مكتبة المعارف ومطبعها
٢ — سارة للاستاذ عباس محمود العقاد — المكتبة التجارية الكبرى

يلاحظ المهتمون بالتأليف والنشر في هذه الأيام اقبالاً عظيماً من قراء اللغة العربية على ما تخرجه المطابع في شتى ألوان المعرفة والثقافة . وهذه ظاهرة جديدة بالدراسة لعل هذه الدراسة تكشف لنا سر هذا الاقبال وهل هو حابرٌ أو مقيم ، وما بواعثه الاصلية وهل هو رغبة صادقة في التمتع بثمار الفكر والخيال ، أو هو رغبة لا تلبث أن تزول بزوال الحرب وما تثيره في النفوس والعقول من اهتمام بفهم نواحيها أو توق الى الفرار منها والالتجاء الى متع الخيال والفكر ؟

ومهما يكن من أمر ، فإن هذا الاقبال جديرٌ بأن يفهم وجديرٌ بأن يُغذَى . ومن بواعث الاغتياب أنه برغم القيود المادية التي تقيد حركة الطبع والنشر ، فإن فريقاً كبيراً من الأدباء والمؤلفين وأصحاب المطابع ، لا ينون عن نفح جمهور القراء بكتب تغذي الفكر والشعور أطيب تغذية وأنفعها

ولعل باب القصص من أحفل هذه الأبواب بعنايتهم . وهو أمرٌ طبيعي . فالقصص الجيد ميدان طائفة كبيرة من أعلى فنون الأدب وفيه متسع لتحليل النفوس ودراسة أحوال الاجتماع وكل ذلك ، مفرغ في قالب حوادث متماسكة وأشخاص يفرضون على وعي القارئ فرضاً

وليس ثمة ريب في أن الدكتور طه كان له في هذا الميدان شأن كبير ، سواء في ذلك قصصه الموضوعية أو المنقولة عن الأدب الغربي ولا سيما الفرنسي . وهذا علاوة على نهوضه بأعباء أعماله في وزارة المعارف والجامعة ، ومدارها جميعاً توجيه التربية والثقافة في هذا البلد أو المشاركة الفعالة في توجيهها

وهذا كتابه الأخير « صوت باريس » تتجلى فيه العناية بعقد عقدة الوصل بين الغرب والشرق عن طريق نقل ما أثر الأدباء الغربيين الى اللغة العربية على نحو ما فعل في كتب كثيرة له على هذا الغرار ، سبق نشرها ، كما تتجلى فيه البراعة والبلاغة في هذا النقل . وفي هذا الكتاب عرض وتحليل لقصص تمثيلية هي « السيل » للكاتب الفرنسي موريس دونيه . و « الرقص في نصف الليل » لشارل بيرى . و « المذهبان » وهي فكاهة تمثيلية لالفريد كايو . و « السلام الحى » لبول رينيه وقصص أخرى على هذا النمط للكبار الكتاب الفرنسيين

أما « سارة » فقصة ألّفها الاستاذ العقاد ونشرها في سنة ١٩٣٨ ومما يبعث على الارتياح ان يتيح له إقبالُ القراء عليها فرصة طبعها الآن طبعة ثانية وقد قلنا فيها عند ظهور طبعتها الأولى ان قراء هذه القصة لا يسعهم ان يختلفوا في ثلاث مزايا تتصف بها قصة سارة . فأولاً — توقد الشعور فيها من أولى صفحاتها الى آخرها وهذا الشعور المتوقع هو الرابط الوثيق بين أجزائها جميعاً سواء إلى وصف المقاتلة بين سارة وهام عمداً الكاتب ام الى وصف الفراغ الذي يحسّه هام في حياته عند ما لا يقابلها . وثانياً التحليل النفسي الدقيق البليغ لحالة الحبيب والحبيبة في ساعة الرضى وساعة الغضب او في حالي الهزل والجد ، او عندما يعمر قلبه اليقين بحبها وعندما تساوره الريب في انحرافها عنه . وثالثاً — ذلك التعليق الفلسفي الحكيم على جميع هذه الحالات وهو تعليق مردّه الى العقل ولكنه مصحح ومقيد بنتائج الاختبار

فعسى ان تتيح الطبعة الثانية فرصة مطالعة « سارة » للذين فاتتهم الفرصة الاولى

القواعد الاساسية لدراسة الفارسية

لأبراهيم أمين الشواربي — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — صفحاته ١٩٥

أخذت العناية بدراسة اللغة الفارسية تزداد في هذه الايام ، بفضل جامعة فؤاد الاول التي انشأت معهداً للغات الشرقية . وهي عناية أوحّت بها الينا من طريق غير مباشر عناية المستشرقين بأدب الشرق وعلومه ولغاته وعاداته . تلك العناية التي ظهر من آثارها مئات من الكتب الأجنبية لعشرات من علماء المشرقيات الذين قضوا سنين طويلة من حياتهم في البحث والدرس . وما زلنا نحن — أبناء الشرق — نعتمد عليهم في كثير مما يختص بتاريخنا وتراثنا . . .

واللغة الفارسية ليست من اللغات السامية التي منها العربية والعبرية والآشورية والسريانية ولكنها لغة آرية آخى الاسلام بينها وبين العربية وربط بينهما برباط وثيق . ولهذا كان من نتائج العناية الجديدة بهذه اللغة ان تقرر دراستها في الجامعة وفي طائفة اخرى من المعاهد ، وان يوفد من أجلها الطلاب في بعوث الى اوربا للتعلم في دراستها . ومن هؤلاء الموفدين مؤلف هذا الكتاب . ولهذا كان سبيله في التأليف سبيل العارف الخبير . وطريقته في شرح القواعد واضحة ، حتى ليمضي الطالب في قراءة كتابه من غير حاجة الى معلم ، فهو يذكرنا بكتب Hugo في تعليم اللغات الحديثة . وفي آخر الكتاب طائفة من الأمثال الفارسية ونخب من الحكايات والنوادر وطرائف المختارات ، مع شرح بعض الالفاظ الجديدة على الطالب

واذا كانت فائدة هذا الكتاب مقصورة على الراغبين في تعلم اللغة الفارسية ، فأنا أرجو من مؤلفه أن يمتعنا في كتاب آخر بروائع من الأدب الفارسي مترجمة الى اللغة العربية ، حتى تكون هذه الروائع مهية لمن لم يسعدهم الحظ بمعرفة الفارسية

فهرس الجزء الثالث

من المجلد الثاني بعد المائة

العلم والحرب والحضارة	٢٢٥
جامعة فاروق الأول : افتتاحها الرسمي	٢٣٣
كيف ينبغي ان يوجه العلم والعلماء : للدكتور احمد زكي بك	٢٣٨
شاعر الحب والقلوات : ذو الرمة : محمود محمد شاكر	٢٤٤
الفلاح يستشير العالم الطبيعي	٢٥٢
مذهب الأخلاق عند الرواقين : لعثمان امين	٢٥٧
الاجتماع وعلم الشعوب : للاستاذ محمد لطفي جمعة المحامي	٢٦٩
الآثار الايوبية في دمشق : للدكتور اسعد طلس	٢٧٤
الذئب والام (قصيدة) : لجبران النحاس	٢٨٠
ميلاد الشاعر (قصيدة) : لصلاح اللبكي	٢٨١
نظرة في علم البيان : لادوار مرقص	٢٨٢
الوفر لا العوز : لفرانك لايد : نقلها حسن السامان	٢٨٩
المرأة والدولة في فجر الاسلام : للسيدة نايبة أبوت : ترجمها محمد عبد الغني حسن	٢٩٧
مقام المرأة في مصر القديمة : للدكتور باهور لبيب	٣٠٥
اصطلاحات في علم النبات : لمحمود مصطفى الدمياطي	٣٠٩
حديقة المقتطف * أحلام شهرزاد في الادب العربي : لسيد قطب	٣١٣
باب المراسلة والمناظرة * طرائف في الادب واللغة . لنجيب شاهين	٣١٨
باب الاخبار العلمية * التفازة في الحرب الحامية والمناظير الليلية ومنافعها . لعوض جندي . تجفيف	٣٢٢
الطعام في مصر . الحرب الاقتصادية والغارات الجوية . مناجم القصدير في انكلترا . منافع	
عنصر الانديوم . حرارة الحيار	
مكتبة المقتطف * مساجد القاهرة . اقرأ . روح التربية والتعليم . قصص : صوت باريس .	٣٣٠
سارة . اللغة الفارسية	